QUEEN RANIA TEACHER ACADEMY
أكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين

تحدّيات مدرسيّة

دراسات للتربويين

حرّرتهُ كاثرين ك. ميرسيث

Professional Education

HARVARD
GRADUATE SCHOOL OF EDUCATION

تحدّياتٌ مدرسيّةٌ: دراساتٌ للتّربويين

حرّرتهُ كاثرين ك. ميرسيث

برعاية:

أكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين و كلية الدراسات العليا في التعليم بجامعة هارفارد – التعليم المهني

مبادرة الشرق الأوسط للتعلّم المهني

٢٠٢٠

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠٢٠/٨/٣٢٢٨)

٣٧٠،١

اكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين

تحديات مدرسية: دراسات للتربويين / اكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين .–عمان: الاكاديمية، ٢٠٢٠

( )ص.

ر.إ. : ٢٠٢٠/٨/٣٢٢٨

الواصفات: /الانظمة التربوية//الاهداف التربوية//اساليب التدريس //الطلبة//المعلمون//الادارة التربوية/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه و لا يعبّر هذا المصنف عن رأي أي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

QUEEN RANIA TEACHER ACADEMY
أكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين

Professional Education

HARVARD
GRADUATE SCHOOL OF EDUCATION

بيان إخلاء مسؤولية

تُعبّر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن مؤلفيها، وهي لا تعكس بالضرورة آراء أكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين أو مبادرة الشرق الأوسط للتعلّم المهني أو كلية الدراسات العليا في التعليم بجامعة هارفارد أو أيٍّ من أعضائها.

كما أن التسميات والمواد السردية الواردة في هذا الكتاب لا تعكس ضمنًا آراء أكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين، أو مبادرة الشرق الأوسط للتعلّم المهني أو كلية الدراسات العليا في التعليم بجامعة هارفارد.

ينطوي الكتاب على عدّة دراسات لحالات واردة من مدارس مختلفة في أرجاء المملكة الأردنية الهاشمية، وتجدر الإشارة إلى أنّه على الرغم من أنّ هذه الدراسات تعبّر عن مُعضلات حقيقية في تلك المدارس، إلا أنّ الأسماء والتفاصيل ذات الصلة قد غُيّرت؛ للحفاظ على سريّة الشخصيات، ولذلك فإن أي تشابه يرتبط بالأحداث أو الأماكن الحقيقية أو الأشخاص (سواء أكانوا على قيد الحياة أو متوفّين) هو من قبيل الصدفة البحتة، ولا يُقصد بالأمر الاستدلال بالأشخاص الفعليين (من هم على قيد الحياة أو المتوفين) أو الأماكن والمباني الفعلية أو حتى الإشارة إليهم/ ـها.

وبالرغم من اتخاذ الاحتياطات اللازمة كافّة في إعداد هذا الكتاب، إلا أنّ أكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين ومبادرة الشرق الأوسط للتعلّم المهني وكلية الدراسات العليا في التعليم بجامعة هارفارد لا يتحملون أيّ مسؤولية حيال الأخطاء أو الإغفالات أو الأضرار الناجمة عن استخدام المعلومات الواردة في هذا الكتاب، كما أن الكتاب ليس وثيقة معدّة لإسداء المشورة المهنية.

إنّ جميع الحقوق محفوظة، ولا يجوز بأي حال من الأحوال إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه في نظام يُتيح إمكانية استرجاعه أو إرساله بأي شكل أو وسيلة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية أو على شكل نسخ أو تسجيل أو بطريقة أخرى، دون الحصول على إذن كتابيّ من أكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين.

تحدّياتٌ مدرسيّةٌ
دراساتٌ للتّربويين

المحرر الرئيس: د. كاثرين ك. ميرسيث

المؤلفون:

د. أسماء حمود الخالدي
ايمان حسن مطالقه
ديانا علي شطناوي
علا عبدالمجيد الخطاطبه
محمود محمد صبرة
نانسي جودت المجالي
آسيا علي العواجي
خالد أحمد يونس
روان محمد عبابنه
فيروز حسني أبو فرحة
ميسون حسين مسعود
وسام حسين الحساسنة
آمال عودة الرحامنة
دلال عيسى حمودة
ساجدة حمد القيسي
مالك محمود أبو هلال
مي فلاح الحويطات

فريق الداعمين والمحررون المساعدون:

أسامة فؤاد النعيمي
دلال عيسى حمودة
د. سمية عزمي المحتسب
عبير يحي هاكوز
ميسون حسين مسعود
أمجاد محمد أبو هلال
رولا علي سعيد
د. سناء مصطفى الرياحي
فراس اسماعيل العمري
هالة محمد طاهر
د. إيمان محمود الزغول
د. سلام غازي المعايعة
صبرين محمود السلمان
نيكولاي درهام

مراجعة التحرير اللغوي والتدقيق:

د. إبراهيم علي العوضي
سامية سليمان الشوابكة
لبنى نعيم الدريني

التصميم الفني: أكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين

التصميم الفني مستوحى من كتاب:

Merseth, K. (Ed.) (2015) Confronting Challenges: Case Studies for School Principals. Ministry of Education, Chile

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية:

الطبعة الأولى ٢٠٢٠

حقوق النسخ محفوظة - أكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين ورئيس وزملاء كلية هارفارد

تقديم

لا تقتصر أهمية المدارس في وطننا على كونها مجرد مكان آمن نقدم فيه التعليم لطلبتنا الأحباء ونساعدهم في تنمية ذواتهم بالعلم والمعرفة، بل إنّها تسهم في رسم ملامح مستقبلنا وتشكيل مجتمعنا على أفضل صورةٍ نصبو إليها من التقدم الحضاري وأسمى درجات البناء والتشييد.

تستدعي هذه الأهمية منا – نحن التربويين – مسؤولية أخلاقية تتجلى بكل تمثُلاتها: التربوية، والثقافية، والنفسية، تَحْمِلنا على إيجاد أفضل السبل الرامية إلى تجويد مخرجات التعّلم، وصقل مهارات المتعلمين وشخصياتهم وبناء عقولهم؛ ومن هنا جاءت فكرة تأليف هذا الكتاب الذي يستعرض جملة من المعضلات التي لا تنفك مدارسنا عن مواجهتها طيلة الوقت؛ لنخوض فيها تحليلًا فكريًا عميقًا يقف على ملابساتها بفهم دقيق يحيط بجوانبها كافةً؛ ولنعمل كذلك على توفير مساحة حرّة للدارسين لها؛ لإفساح المجال أمامهم لتقييمها، والخروج بوجهات نظر جديدة حولها، وبناء تصورات مستقبلية لما ينبغي أن تكون عليه أدوار التربويين في مثل هذه الحالات.

يحدونا في هذا العمل رؤية جلالة الملكة رانيا العبدالله المتمثلة بضرورة تمكين المعلمين، وتزويدهم بالمهارات وتسليحهم بالمعرفة اللازمة لتحقيق التميّز داخل الغرفة الصفية. وانطلاقًا من ذلك، عملت أكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين بكل جدّ لتحقيق هذه الرؤية، وبذلت وما تزال تبذُل وسعها للارتقاء بجودة مخرجات التعليم في إطار المنظومة التعليمية الأردنية، وقدّمت في ثنايا برامجها معالجات رصينة لقضايا تربوية ملحة ذات صلة وثيقة بالواقع وصيرورته وما يعتريه من تحولات وتغيرات، وأدخلت فرص التطوير المهني الجيدة للمعلمين. وساهمت جنبًا إلى جنب مع مؤسسات تربوية أخرى في صياغة برامج تعليمية فعّالة على المستويات المحلية والعربية والعالمية، وبهذا عُدت الأكاديمية أحد عوامل البناء والتغيير في مسارات الارتقاء بمستوى التعليم في الأردن، وتعززت سمعتها إقليميًا ودوليًا وتبلورت مكانتها باعتبارها مؤسسة تعليمية تُقدم خدماتها التدريبية وفق أرقى المعايير المهنية و أعلى مستويات الأداء المُحترف.

في إطار هذا النهج تتضافر في هذا العمل التأليفي الخبرات التي تحظى بها الأكاديمية مع خبرات القائمين على مبادرة الشرق الأوسط للتعلم المهني التي أطلقتها كلية الدراسات العليا في التعليم بجامعة هارفارد لإعداد دراسات الحالة التي يَرِد ذكرها في الكتاب؛ حيث كرّس المعلمون ومديرو المدارس جهودهم لإعداد «دراسات حالَة» تُصوّر جانبًا من تحديات المشهد التربوي الأردني وميدانه التعليمي العملي؛ حيث كرّس المعلمون ومديرو المدارس الذين شاركوا في هذا العمل جهودهم لإعداد هذه الدراسات بهدف إتاحتها لأي فرد يريد أن يستثمر طاقاته في دراستها والبناء عليها وتقديم اقتراحات وحلول ترتقي بمستوى قطاع التعليم في الأردن والمنطقة.

يمثل هذا الكتاب نتاج عمل منهجي رصين قادته الدكتورة (كاثرين ميرسيث) مع فريق من كادر الأكاديمية، ومعلمي ومديري مدارس حكوميّة من مختلف بيئات الأردن ومناطقه

التعليمية؛ حيث عملوا على مدار عام كامل على دراسة جملة من التحديات الواقعية التي واجهتهم في المدارس؛ هادفين إلى تزويد زملائهم في الميدان التربويّ بمواقف يمكن أن تخلق مناقشات ثرية حول التعليم والتعلّم، وتعليم ذوي الاحتياجات الخاصة، وإدارة السلوك، والعلاقات بين المدرسة والمجتمع؛ لهم جميعًا الشكر موصولًا فقد أولوا هذه المادة المكتوبة جُلّ اهتمامهم وإخلاصهم ناهيك عن إحاطتها بمتابعة دؤوبة.

تنطوي دراسات الحالة المختارة في هذا الكتاب على خبرة تدريبية مفيدة تتصل مباشرة بعمل المعلمين؛ فهي تسلط الضوء على الظروف المعقدة التي لا ينفك المعلمون عن مواجهتها وتبرز المسؤوليات العظيمة الملقاة على كواهلهم. ورغم أن لكل موقف خصوصيته، إلا أن هذه التحديات بشكل أو بآخر هي ذاتها التي تعاني منها بيئات التعلم في دول العالم المختلفة، نظرًا لطبيعة هذه التحديات وملابساتها وتعدد جوانبها، من الممكن تحليل هذه الحالات من زوايا عديدة تبعًا للمكونات المعرفية التي يتأطّر بها دارسوها واختلاف سياقاتهم الثقافية.

ما من شك في أن هذه القصص المتنوعة الغنية بمحتواها تتيح مساحة للقرّاء لمواصلة التأمل في تفاصيلها، وإبراز اهتماماتهم بتجلياتها، وتسويغ تصرفات أبطالها، كما تتيح للجهات المختلفة سواء أكانوا مؤسسات مجتمع مدني أم شركاء داعمين الاستفادة منها على نحو يعزز من مساهمتهم في النهوض بأداء التعليم وإنضاج ثمار التعلّم.

غني عن البيان أن الممارسات التربوية التي أثبتت نجاحها في المدارس استندت قطعًا إلى قرارات حكيمة اتخذتها القيادات التربوية وأصحاب المسؤولية فيها، وهذه الحالات التي ينطوي عليها هذا الكتاب ترفد المجتمع التربوي والقيادات المدرسية بجملة من القضايا وتؤشر على تحديات حيوية تواجه القيادات التربوية يوميًا، وهم يحتاجون إلى التصرف حيالها وفق مقضيات الواقع وتطلعاته المستقبلية، ونؤمل أن تكون هذه التأشيرات الواردة فيها ذات قيمة عالية توجه نحو القرارات السديدة والأداءات المتميزة. لقد بذل المعلمون والخبراء الذين أسهموا في كتابة هذه الحالات جهدًا كبيرًا في صياغتها وتضمينها أسئلة تلفت انتباه قرّائها إلى محاور التركيز التي ينبغي أن يدور عليها القرار؛ وكلنا أمل أن يساعد ذلك في دعم شغف جميع الراغبين في قيادة طلبتنا نحو مستقبل أكثر ازدهارًا ورفاهًا وإشراقًا.

واخيرًا وليس آخرًا، يَنتابُنا حماس عارم يدفعنا إلى معرفة الطريقة التي سيتَّبعها القُرّاء في الاستفادة من المواد الماثلة بين أيديهم إلى أقصى حدٍ مُمكنٍ، فضلًا عن الآلية التي سينتهجونها في تقييمها، ويُسعدنا القول: إن نشر هذا الكتاب سيكون باللغتين العربية والإنجليزية، الأمر الذي يعود بالنفع على طيف واسع من قُرّائه وسيُثري تجاربهم، ويُضفي مزيدًا من الأهمية على المحتوى الذي تحمله صفحاته.

د. أسامة عبيدات
الرئيس التنفيذي
أكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين
عمان – الأردن، ٢٠٢٠

شكر وتقدير

يقف وراء الأعمال الناجزة أصحاب فضل أسهموا في إنتاجها، وهذا الكتاب الذي بين أيدينا ليس استثناءً فقد أبصر النور بفضل مساهمات فريق من أكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين بالتعاون مع قسم التعليم المهني في كلية الدراسات العليا في التعليم بجامعة هارفارد. فقد أبدى هيف بنايان، وماري تادرس، وعبد المجيد شملاوي، وزملاؤهم في الأكاديمية استعدادًا لاستكشاف أفكارنا حول توسيع دائرة عمل كل منا في مجال المصادر التعليمية؛ ليتضمن هذا النوع من مصادر التعلّم والمؤلفات المتعلّقة به. هذا وعملت هالة طاهر وفريقها دون كللٍ أو ملل مدة عام تقريبًا لجمع فريق من الكُتّاب والمُدربين الداعمين والمحررين ليعكفوا على مراجعة دراسات الحالة هذه وصقلها وإخراجها بالصورة المميّزة التي نقدّمها هنا. وما يجدر بي قوله: إن هذا العمل كان مصحوبًا بشيء من التعقيد؛ نظرًا للمتطلبات القاضية بترجمة النصّ وأفكاره من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية على مدى أشهر عديدة، وما يتصل بذلك من مشقّات وصعوبات.

كما أودّ أن أتقدّم بوافر الشكر للدكتور أسامة عبيدات الرئيس التنفيذي لأكاديميّة الملكة رانيا الذي تبنى المشروع إبان انضمامه إلى الأكاديمية، فضلًا عن الدعم الذي قدّمته وزارة التربية والتعليم التي سهّلت مشاركة المعلمين في المشروع. كما كان لإخلاص الكُتّاب وبلاغتهم وتحملهم مشقة الالتزام بالمتطلبات اللازمة لإنجاز العمل دور كبير في جودته، وهذا يشمل جميع المعلمين ومديري المدارس الذين لم يتوانوا عن مشاركتنا بما يتمتعون به من خبرات. ويسرنا أن نتقدّم بشكر خاص للمُحررين والمدربين الداعمين الذين ساهموا في تطوير العمل بالصورة التي نراها ماثلةً في هذا الكتاب، والشكر موصول كذلك إلى أولئك الكُتّاب الذين لم نستطع تضمين دراسات الحالة التي قدّموها في هذا الكتاب، ونتوجه لهم بأسفِنا وعذرِنا في ذلك محددات موضوعية خالصة .

كما نُثمن عاليًا الدعم والتشجيع الدؤوبين اللذين قدمهما المهنيون في كلية الدراسات العليا في التعليم بجامعة هارفارد ممن يعملون في قسم التعليم المهني ومبادرة الشرق الأوسط للتعليم المهني، بمن فيهم (فايزة علوي، وبيتي أسمواه، وشايلين كاري، وميتالين فليتشر، وستيفن هايد، وإيميلي جوليان، وأمين مرعي، ولوريل نايلون).

ومما هو جدير بالذكر أن هذا التعاون والكتاب هما ثمرة منحة سخية من متبرع كريم كان لها عظيم الأثر في إخراج مبادرة الشرق الأوسط للتعليم المهني إلى حيّز الوجود وأن تتجلى واقعًا منظورًا.

كاثرين ميرسيث
كلية الدراسات العليا في التعليم بجامعة هارفارد
كامبريدج – ماساتشوستس، ٢٠٢٠

تمهيد

يمثل هذا الكتاب نتاج تعاون بين أكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين وقسم التعليم المهني في كلية الدراسات العليا في التعليم بجامعة هارفارد، والذي بدأ عام ٢٠١٧م. وهو تعاون ترحب به كلية الدراسات العليا في التعليم بجامعة هارفارد، ويسرّها أن تخدم به المهنيين في مجال التعليم الذين يدركون أن تعلّمهم المستمر يُعد عاملًا حاسمًا في تعزيز بناء مؤسساتهم، وتهيئة الظروف المناسبة للشباب لإطلاق العنان لإمكاناتهم وتحقيق طموحاتهم وآمالهم المستقبلية.

تجذب كلية الدراسات العليا في التعليم بجامعة هارفارد سنويًا أكثر من ١٠,٠٠٠ تربوي من ١٢٠ دولة إلى مجتمع المتعلمين بفضل هذا البرنامج التعليم المهني»، إضافةً إلى ما يقارب ٨٠٠ طالب مقيم في الدراسات العليا، حيث يتميز هؤلاء جميعًا بأنهم معلمون طموحون، وقادة مدارس، وقادة تربويون يُمثلون أنواع التعليم الرسمي وغير الرسمي كافةً، بدءًا من التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة وصولًا إلى التعليم العالي.

وإدراكًا لقيمة هذه الفرص وحماس المشاركين السابقين من الشرق الأوسط، قدّم خريج من كلية هارفارد للأعمال وعائلته منحةً سخيةً للكليّة في عام ٢٠١٦، حيث مكّنت هذه المنحة قسم التعليم المهني في جامعة هارفارد من إرساء تعاون مع الجهات الحكومية وغير الحكومية على حد سواء لتحديد صُنّاع التغيير وتقديم الدعم اللازم لهم في مجال إعداد المعلمين وتأهيلهم في الشرق الأوسط. هكذا كانت بداية مبادرة الشرق الأوسط للتعليم المهني في النهوض بالفرص المتاحة لتعلّم الطلبة، وتحقيق حياة منتجة ومستدامة على نحوٍ يرمي إلى دعم المعلمين والقادة على مستوى النظام في استحداث ممارسات وبرامج وهياكل عمل تساعدهم في مسيرتهم هذه.

منذ البداية، لم تتوانَ هيئة التدريس في أكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين عن المشاركة في مبادرة الشرق الأوسط للتعليم المهني وبرنامج زمالتها، حيث تميز أعضاء الهيئة التدريسية برغبتهم في استكشاف طرائق تعليمية مفيدة و شغفهم لاكتساب خبرات جديدة. وفي هذا الصدد، تشاور أعضاء الهيئة التدريسية في الأكاديمية معنا حول تعريب بعض المساقات الإلكترونية التي حضروها لاستكشاف التحديات ذات الصلة بعمليتيّ التعليم والتعلّم وفهم مكنوناتها وبِناها. وقد أدركنا منذ البداية أن أكاديمية الملكة رانيا ستكون الشريك المثالي في هذه المبادرة، كما ستكون خير عون للدكتورة (ميرسيث) في عملها هذا بصفتها ممثلة كلية الدراسات العليا في التعليم بجامعة هارفارد، فهي عضو هيئة تدريس في الكلية وتشتهر بسجلها الحافل بالإنجازات في مجال إعداد وتأهيل المعلمين. تجدر الإشارة إلى أن الدكتورة (ميرسيث) قد عملت مع قادة المدارس في بيئات تعليميّة من شتى الثقافات بُغية توثيق التحديات العملية التي يواجهونها في مدارسهم ومساعدتهم على إحراز التقدّم خلال مسيرتهم المهنية.

إنّ هذا العمل التربوي العظيم سيساهم في توسيع آفاق المعلمين في مسعىً لبلورة فهم واضح لواقعهم والتأمل في معطياته؛ إذ لن تقتصر الدروس التي سيتعلمونها خلال

مسيرتهم هذه على السياق المميز الذي تتمتع به المدارس في الأردن وحسب، بل سيتوصلون أيضًا إلى حقيقة مفادها أن الموضوعات التي تنطوي عليها تلك الحالات تؤكد عالمية تجاربهم الخاصة. وانطلاقًا من ذلك، نأمل أن يُثري تعاوننا مع أكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين تجارب مُستخدمي دراسات الحالة والمُستفيدين منها على النحو الذي نشعر به في كلية الدراسات العليا في التعليم بجامعة هارفارد وأكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين.

ميتالين فليتشر
مديرة البرامج الدولية
كلية الدراسات العليا في التعليم بجامعة هارفارد
كامبريدج – ماساتشوستس، ٢٠٢٠

رسالة المُحرّر

لا يقتصر الأثر الذي يتركه المعلمون والمديرون على مستقبل الطلبة فحسب، بل يتجاوز ذلك ليمتدّ إلى مستقبل المجتمعات التي يعيشون ويعملون فيها. يُشكّل هؤلاء المهنيون عِماد عملية التعليم والتعلّم، وهم بذلك يستحقون الحصول على تدريب ودعم استثنائيّ سواء من المؤسسات المتخصصة أو من المدارس التي يعملون فيها على حدٍ سواء؛ لذا فإن الغرض من هذا الكتاب يَكمُن في توفير مواد غنية وجذابة من شأنها دفعَ عجلة عملية إعداد هؤلاء التربويين ودعمهم وتطويرهم في سبيل المضيّ قُدمًا نحو أهدافهم وتطلعاتهم.

يحتوي هذا الكتاب بين طياته سلسلة من الحالات، تلي كل واحدة منها أسئلة تأملية مقترحة، صُمّمت للتشجيع على تبنّي نهج البحث والنقاش في الممارسات التعليمية وتحليلها. هذا وقد عمل المعلمون ومديرو المدارس من مختلف الأقاليم في الأردن يدًا بيد مع هيئة التدريس في أكاديمية الملكة رانيا وبشكل مكثّف لتوثيق التجارب الحقيقية التي عايشوها أو خبروها، حيث شمل نطاق عمل هؤلاء المختصين بيئات الأردن ومناطقها التعليمية كافةً.

وقد قصدنا تغيير الأسماء الواردة في الحالات الواردة في هذا الكتاب؛ بغرض حماية هوية الأفراد وسياقات عملهم وحساسية مواقفهم. وتتميز كل حالة يطرحها هذا الكتاب بطابع خاص وعام معًا في آن واحد، وغالبًا ما تطرح موقفًا يشوبه التوتر أو معضلة من المعضلات التي تعترض طريق العمليّة التعليمية ليُصار بعدئذٍ إلى الوقوف على حيثياتها والخروج بحلٍ جذري لها. وعند الحديث عن الحالات الجيدة، يُمكن القول إنها تُضفي «شيئًا من الواقعية» على هذه النقاشات المخصصة لاستكشاف حيثياتها وتحليلها؛ حيث يقتضي التنويه إلى أن هذه الحالات لا تقدّم نقدًا أو تحليلًا للمواقف ذات الصلة بها، بل هي مجرد تمرين يُكلّف القُرّاء بدراسته.

وفي صدد حديثنا عن السياق المرتبط بمنهجية التطوير المهني، فمن الأهمية بمكان أن يَعلم القرّاء أن دراسة الحالات تعدّ أحد الأساليب التربوية التي يشيع استخدامها في الولايات المتحدة في تدريس عددٍ من التخصصات، مثل: إدارة الأعمال، والقانون، والطب، والتخصصات التربوية. أما من وجهة نظر الباحثين، فيساعد التعلّم القائم على دراسة الحالات المهنيين في صقل المهارات اللازمة لتشخيص المشكلات، والتعرف إلى المؤثرات ذات الصلة ووجهات النظر المتباينة التي تدور حولها، والمشاركة في عملية اقتراح التدابير المحتملة للتعامل مع هذه المشكلات، وتحليلها بدقةٍ وعمق.

لا يكمُن الهدف من مناقشات هذه الحالات ودراستها في حلّ المعضلات التي تختبئُ بين طياتها؛ حيث يستحيل حلّ مثل هذه المعضلات، بل إن الهدف يكمن في اكتشاف القضايا والتعقيدات الأكثر عمقًا وغموضًا. وعليه، يوفر النهج القائم على مناقشة هذه الحالات بيئة آمنة تفسح المجال أمام المشاركين لمناقشة السيناريوهات ذات الصلة بها، واقتراح أفكار وأساليب جديدة وتطبيقها دون أن يساورهم قلق حيال الإساءة إلى زملائهم في العمل. إن النهج القائم على مناقشة الحالات يُشجّع على اكتساب مهارات العمل الجماعي حتى يُصار إلى حل للمشكلات التي تنطوي عليها، فضلًا عن أنه يُتيح فرصة للتعلم من الأقران والاستفادة من تجاربهم. أثناء هذه المناقشات، تتجلى آراء الآخرين وتجاربهم في أوج صورها، ما يُسفر بدوره عن إبداء الأطراف المنخرطة كافة في العملية تقديرًا واحترامًا كبيرين لوجهات النظر المختلفة التي جرى طرحها؛ حيث سيعمل ذلك على توسيع القاعدة

المعرفية لدى المشاركين كافّةً ليتمكّنوا بعدئذ من تطبيق المعرفة الجديدة التي اكتسبوها في مدارسهم وفق مقتضيات السياق التعليمي فيها.

قد يعمد الأفراد إلى دراسة الحالات الواردة في هذا الكتاب بُغية إتاحة الفرصة للتفكير والنظر في استراتيجيات القيادة المختلفة، كما تُعَد هذه الدراسات مناسبة لتُطرَح في المناقشات الجماعية بقيادة المُدرّبين. وفي أحيان كثيرة، يَسهُل على المشاركين مناقشة التحديات التي يواجهها الآخرون بدلًا من مناقشة التحديات التي تعترض طريقهم، رغم أن سيناريو هذه الحالات قد يعكس تجاربهم الخاصة أيضًا.

تمخضت جهود التعاون الكثيف عن دراسات الحالة الماثلة بين أيديكم في هذا الكتاب. وفي هذا الصدد، تلقيت دعوة من أكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين دفعتني إلى السفر إلى عمّان عامَ ٢٠١٨ لعقد ورشة عمل امتدت ثلاثة أيام تمحورت حول تدريب المعلمين على النهج المُتَّبعة في كتابة دراسات الحالة. وفي أعقاب هذه الورشة، عُيِّن مدرب وموجه من الأكاديمية لمساندة كل معلم يعكف على إعداد دراسة حالة ليُصار فيما بعد إلى أن يعمل الطرفان كلاهما معًا بدءًا من مرحلة التخطيط لدراسة الحالة، وكتابة الخطوط العريضة وانتهاءً بصياغة مسودتها النهائيّة.

تبدأ عملية الاختيار الأوليّة بتقييم الخطوط العريضة للحالات، حيث أخذنا بعين الاعتبار بعض الخصائص، مثل: جنس الشخوص الرئيسة، وطبيعة دورها القيادي سواء أكان معلمًا أم مديرًا، إضافة إلى السياقات المحلية سعيًا إلى تحقيق تمثيل متوازن. وفي المرحلة اللاحقة، يُدعى المؤلفون الذين وقع الاختيار على مقترحاتهم لكتابة الحالة بمزيد من الإسهاب والتفصيل ليُصار فيما بعد إلى إخضاع كل دراسة حالة إلى عمليات مُكثّفة من المراجعة والتنقيح والتحرير.

يضم هذا الكتاب بين صفحاته دراسات الحالة التي عكف على كتابتها عدد من المعلمين ومديري المدارس، حيث عرضوا خلالها المعضلات والعراقيل التي واجهتهم في المدارس التي عملوا فيها على امتداد الرقعة الجغرافية للمملكة. وعليه، سيعمل هذا التنوع في الأدوار، والمناطق، والظروف المصاحبة للحالات على إثراء المناقشات التي تصب جَلَّ تركيزها على الممارسات المَتبَّعة في التدريس والقيادة.

أما على المستوى الدوليّ، فإن هذا الكتاب هو الخامس في سلسلة كتب دراسة الحالات التي جرى إعدادها تحت إشرافي وتحريري. تتوفر العديد من الكتب الأخرى التي تعكس الممارسات التعليمية؛ ففي جنوب إفريقيا مثلًا؛ ثمة كتاب يُدعى (أن تصبح مدرسًا وقضايا القيادة: الحالات ذات الصلة بالقيادة والإدارة في المدارس) الذي نشرته «بيرسون ساوث آفريكا»، وفي تشيلي أيضًا ثمة كتاب يحمل اسم (مواجهة التحديات: دراسات حالة تستهدف مُديري المدارس) نشرته وزارة التعليم التشيلية، وفي البرازيل ثمة كتاب يُدعى (التحديات داخل الغرفة الصفية في البرازيل) الذي نشرته «انستوتو سينقيولاريدس».

من المثير للاهتمام ملاحظة أن العديد من القضايا التي يعرضها هذا الكتاب من الشرق الأوسط تحمل الملامح ذاتها والحيثيات نفسها التي تنطوي عليها الحالات الأخرى في شتى بقاع الأرض. فعلى سبيل المثال: تعكس الحالات التي ينطوي عليها السياق البرازيلي حالة التوتر والقلق المصاحبة لتقديم التعليم لتلك الفئة التي أُجبِرَت عنوةً على الهجرة من فنزويلا، كما تعكس التأثير الذي يُخلّفه القادمون الجدد على المجتمعات المحلية، حيث تتشابه هذه الحالات إلى حد كبير مع حالات اللجوء الأخيرة من البلدان المجاورة إلى الأردن. وعلى النحو ذاته، تُعَد المعضلات التي يواجهها المعلمون الجدد في الأردن فيما يتعلق بتعاطفهم مع الطلبة الذين يعانون من صعوبات في التعلم المعضلات ذاتها التي

تواجهها تشيلي، في حين تُعَد حالة التوتر الناشئة بين الأسر والمدارس حول اختيار السبل الأنسب لتعلّم الأطفال من المشكلات الشائعة في البرازيل؛ ما يدّل بدوره على أن هذه المشكلات هي بمثابة مشكلات يعاني منها العالم بأسره إلا أن سياقاتها تختلف اختلافًا كبيرًا. خلاصة القول: تساهم الحالات التي يحملها هذا الكتاب بين طياته في توسيع آفاق التربويين ومداركهم، وزيادة مستوى معرفتهم واطّلاعهم، وكلّنا أمل أيها القارئ العزيز– أن تستمتع بعملنا الماثل بين يديك وتسعد به.

كاثرين ميرسيث
المحررة
كامبريدج – ماساتشوستس، ٢٠٢٠

المُقدمة

ينطوي هذا الكتاب على مجموعة مهمة من الحالات التي تهدف إلى تنشيط مهارات حل المشكلات وتعزيزها لدى القادة الحاليين والطموحين، ولاسيما في قطاع التعليم، وهذا مدخل يتبناه مستخدمو دراسات الحالة في أنحاء العالم كافة. ويوفر الكتاب مجموعة واسعة من الفرص لتحليل مختلف التأثيرات والمعضلات والمسؤوليات التي يواجهها المعلمون، ولذلك سيتمكن مستخدمو هذه الحالات من التعامل بثقة مع الخيارات الصعبة التي قد يحملها المستقبل، وفي نهاية المطاف، سيتمكنون من الاستفادة من مهاراتهم القيادية لتأمين إجراءات مستدامة تحفظ أمن مجتمعهم وأمانهم.

بالرغم من ثقتنا بجودة العمل المقدّم، إلا إنّ الحالات المعروضة في هذا الكتاب ليست استثنائية، ولكن ما يجعلها مهمة للغاية أن طبيعة تحدياتها وملابساتها نجدها في سياقات متنوعة حول العالم، فهي ليست مقتصرة على الأردن. إنّها قصص واقعية وأبطالها حقيقيون، وقد اختيرت لأنها تُعبر بدقة عن الخبرات والمشاعر التي يستحضرها قادة المدارس عند مواجهتهم أفكارًا متضاربة وقيمًا متعارضة مع قيم المجتمع ومصالحه، إن هذه الحالات تنقل الوضع الإنساني والجهات المؤثرة فيه، وتُغفل أي شكل من أشكال التحليل، فالتحليل والتطوير مهمة القرّاء الذين سيطلعون عليها ويناقشونها.

عند إجراء جلسة مُناقشة لهذه الحالات، ينبغي أن ينظر المشاركون في أحداث الحالة المنظورة، وبعد التفكير في المشكلة التي تطرحها، عليهم أن يحددوا كيف تنطبق حيثيات هذه الحالة وملابساتها وظروفها في مدرستهم أو (مدارسهم) وسياقاتهم التعليمية، ونظرًا لأن هذه الحالات تتمحور حول معضلات متعددة المستويات، فمن المحتمل أن تحصل خلافات بين أعضاء المجموعة فيما يتعلق بالتوصيات الخاصة بالشخصية الرئيسة وحتى التفسيرات الأكثر بساطة المتصلة بتفاصيل الموقف، ومن المهم تبني هذه الاختلافات، لأنّها ستسهم في إنشاء أساس صحي للتعلم للمجموعة بأكملها، وفضلًا عن ذلك، تعتمد مناقشات الحالة عادةً على الشخص المنسق الذي يجري موازنة لوجهات النظر في الجلسة، وفي حال عدم توفر ميسر لإدارة النقاش، فيجب على الأعضاء أن يكونوا حريصين بشكل خاص على تشجيع مشاركة الجميع بشكل نشط؛ لأنّ كل شخص موجود لديه مساهمة قيّمة ورغبة أكيدة في التعلم.

قائمة بأسماء الحالات

التعلم والتعليم

تغيير مكلف
هل الدعم الفني يساعد الجميع؟
صراع رغبات
لحظة الحقيقة
ناجح علوم ... راسب عربي!
نحن لسنا بحاجتك!
من أين أبدأ؟

ذوو الاحتياجات الخاصة

هل أستمر في دراستي؟
لا تتركوني خلفكم
ما مشكلتك؟
ليس عدلًا

العلاقات بين المدرسة والمجتمع

حرب الكلام
غياب مُبرر
عائلتي أم مبادئي

إدارة السلوك

أنقذوني قبل أن تفقدوني
أنا لا أهتم
لن تستطيع إجباري

التعلّم والتعليم

تغيير مكلف

أوقفت ميرفت سيارتها في مكانها المعتاد، ثمّ أطفأت المحرك، وجلست تنظر إلى بوابة المدرسة بينما كان عدد من الطالبات يمشين في باحة المدرسة جيئة وذهابًا بانتظار وصول زميلاتهن .

كانت ميرفت تحدّث نفسها: "المهمّ هؤلاء الطّالبات، ما الأفضل لهن؟ من "في هذه اللحظة عادت بأفكارها إلى أول يوم عملت فيه مديرة لمدرسة الرّام الثانوية، وكم كانت متحمسة لاستثمار شهادتها في القيادة التعليمية استثمارًا جيدًا، لقد كانت تعتقد أن المعلمات سيتحمسن للعمل بسرور معها فور سماعهن لها، إذ كانت تدرك تمامًا صعوبة هذه النقلة النوعية، ولكنها أيضًا كانت تحمل في داخلها أملًا بأنهن سيحاولن التغيير. كان عليها مواجهة حقيقة أنّ الفرضيات التي وضعتها في ذلك الوقت غير صحيحة، وأن أغلب المعلمات يفضلن الحالة الراهنة.

كان إحباطها من محاولة التأثير والتغيير يتفاقم يومًا بعد يوم؛ أطرقت قليلًا ثم شقّت طريقها إلى مكتبها وهي تأمل أن تتمكن من إيجاد حل مناسب وصحيح.

المدرسة والسياق

مدرسة الرام الثانوية مدرسة حكومية تقع ضمن منطقة حضرية في الأردن، وتضم أكثر من (٧٠٠) طالبة، وتخدم سكان المنطقة وما جاورها، تبدأ الصفوف في المدرسة من الصّف السابع وحتى الصّف الثاني عشر، ويوجد في كل شعبة ما يعادل (٣٥) طالبةً، تقع المدرسة على مشارف العاصمة عمان، وتنتمي طالباتها إلى طبقة اجتماعية متوسطة.يقدّر أهالي الطالبات التعليم ؛باعتباره الوسيلة الرئيسة التي تمكن أبناءهم وبناتهم من التقدم بنجاح وجودة في الحياة ، ويقيسون نجاح بناتهم بالعلامات التي يحصلن عليها. وقد أصبحت المدرسة معروفة بالنتائج المرتفع التي حققتها الطالبات في امتحان الثانوية العامة (التوجيهي)، إذ تفتخر إدارة المدرسة أن (٨٥٪) من طالباتها يجتزن الامتحان، ويصلن إلى المرحلة الجامعية.

تسعى وزارة التربية والتعليم في الأردن إلى إحداث نقلة نوعية في التعليم العام؛ لذا قامت مؤخرًا بنشر معايير للمعلّمين تؤكد الدور المحوري للمتعلمين والتعلم، والتقييم من أجل التعلم، واستراتيجيات التمايز والدّمج.

مديرة بعيدة النظر

تتمتع مديرة المدرسة بحضور شخصي قوي، طويلة القامة، وعيناها واسعتان. ملابسها المحافظة تزيد من قوة حضورها الشخصي. وقد أصبحت مديرة عندما بلغت (٤١) عامًا وبقيت في منصبها مدة أربع سنوات، وقد عملت قبل ذلك معلمة مدة (١٨) سنة.

تحمل درجتي الماجستير والدكتوراه في التربية، إضافة إلى حصولها على شهادة القيادة التعليمية كل ذلك باتساق وموازنة مع عملها.

تتحدّث ميرفت بنبرة صارمة وحازمة، وتؤمن بشدة بتأثير برامج إعداد المعلمين الإيجابي. ، وتأمل لو أن معلماتها الجدد اللواتي التحقن بالمدرسة في هذه السنة لديهن المؤهلات المناسبة التي تعدّهن لمهنة التعليم؛ فبهذه الطريقة ستكون قادرة على التأثير في

التحول من التدريس المتمحور حول المعلّم إلى نهج أكثر تركيزًا على الطالب، ويستند إلى تطوير مهارات القرن الحادي والعشرين .

المعلمة المبتدئة

سلوى معلمة جديدة في الرابعة والعشرين من عمرها، بنيتها رفيعة، متوسطة الطول وملامحها معبّرة. تفضل ارتداء الملابس الملونة، وتتأنق في مظهرها. مَن يلقاها ينجذب إلى ملامحها الشابة وعينيها البنيتين الضاحكتين، وهي تضفي على المكان جوًا لطيفًا، مما يؤدي ببعض من يراها إلى أن يقلل من شأنها. كانت سلوى هادئة بطبعها، ولكنّها واثقة من نفسها، وعنيدة في مواقفها أيضًا ولا سيما عندما تؤمن بما تفعله، رغم محبتها للقاء الناس إلا أنّها تحافظ دائمًا على مسافة واضحة من المحيطين بها، وليس لديها سوى عدد من الأصدقاء المقرّبين.

تحمل سلوى درجة البكالوريوس في اللغة الإنجليزية وآدابها، ثم انضمت إلى برنامج الإعداد المهني للمعلمين. أظهرت شغفًا بالتدريس، وكانت والدتها ملهمة لها لتمتهن التعليم، فقد عملت معلمة مدة (٢٠) عامًا. عيّنت سلوى معلمة لغة إنجليزيّة للصفوف السابع والثامن والعاشر في مدرسة الرام الثانوية للبنات. وقد سعدت بلقاء مديرة المدرسة التي أدركت للوهلة الأولى أنّهما تلتقيان في الرؤية للتعليم ذاتها ، وأعربت عن أملها في بناء جسور علاقات جيدة مع معلمات المدرسة. كانت سلوى متحمسة لتطبيق الاستراتيجيات التي تعلمتها والتي تركز على التعلم المتمحور حول الطالب وتنمية المهارات الحياتية لديه، عوضًا عن اتباع الطريقة التقليدية. بدأت فورًا العمل على تخطيط دروسها وتحدي المعلمات الأخريات بتطوير خطط دروس أكثر كفاية وفعالية.

بعد مرور ستة أشهر، بدأت سلوى تشعر بتضارب في مشاعرها، فقد كانت على ثقة بأنّ أفكارها جيدة، وأنها ستساعد طالباتها في أن يصبحن أكثر ثقة في استخدام اللغة وتعلّمها، ولكن تبين أنّها تحتاج إلى مساحة من الحرية في العمل. إلّا أنّ المديرة طلبت من منسقة اللغة الإنجليزية أماني توجيه سلوى ومساعدتها على التكيف، فانزعجت سلوى من المنسقة وشعرت بالإحباط؛ لأنها وصفت تعليمها بأنّه ضعيف أثناء تقديم التغذية الراجعة لها عن حصة حضرتها معها. في هذه الحصة التي حضرتها أماني وجرى حولها الحديث كان ثمة طالبتين ترفضان الاستجابة لتعليماتها والتفاعل معها، بينما حقّقت بقية الطالبات في الصف النتاجات المرجوة.شعرت سلوى أنّ أعمال الطالبات يجب أن تتحدّث عنهنّ.

> أماني: "عليك التأكد من أن الطالبات جميعهن ينظرن إليك ويستمعن باهتمام. أما الذي رأيته فلم يكن تعليمًا جيدًا!"
>
> سلوى: "نعم، لقد كان التعليم جيدًا، وذلك ما كنت أصبو إليه"
>
> أماني: "هل تقصدين أنّنا لا نعير انتباهنا للتعليم؟"
>
> سلوى: "لا! ليس هذا ما قصدت. كنت أتكلم حول..."
>
> قاطعتها أماني: " قبل أن أنهي التقرير المطلوب، سأنتظر حتى أحضر درسك عند الصّف العاشر لاحقًا هذا الأسبوع". كانت نبرتها حادة وصارمة ثم مضت مبتعدة.

كانت سلوى تتساءل هل سيكون الغد أفضل من اليوم؟ كيف... ونظرة أماني تختلف عن نظرتها للأمور...!!

الفوضى: إبداع أم كارثة؟

نظرت ميرفت لمن يطرق بابها، فرأت أماني "منسقة اللغة الإنجليزية" تنتظر منها الانتباه إليها: "مساء الخير، أماني. كيف يمكنني أن أساعدك؟"

عليك أن تأتي معي الآن لتري ما يحدث في الصف العاشر. يوجد طالبتان في غرفة المعلمات ترفضان العودة إلى الصف وثمة فوضى عارمة. ربما يمكنك الآن رؤية ما أرى".

هدّأت ميرفت نفسها، وشكرت أماني وقالت: إنّها ستتبعها. تنهدت بينما كانت أماني تغادر الغرفة، ثم أخذت نفسًا عميقًا ثانيًا وتحركت لتعاين المشهد.

عند وصولها الطابق الثاني، كانت تستطيع سماع صوت ثرثرة وكثيرًا من الحركة والجَلبة تأتي من الصف العاشر. عندما دخلت، رأت مجموعة من الطالبات يجلسن على المقاعد، ومجموعة أخرى تجلس على الأرض وأخرى محتشدة حول السبورة يكتبن عليها، للوهلة الأولى كانت سترفع صوتها لإسكات الطالبات، ولكنها ضبطت نفسها ونظرت إلى المجموعة القريبة من الطالبات المحتشدات عند السبورة، رأت أنّهن يكتبن معًا حوارًا باستخدام دفاترهن وكتبهن، صحيحٌ أن بعض الطالبات كن يتحدثن عن حياتهن الخاصّة، ولكن ثمة إنجاز ظاهر أمامهن. كما رأت سلوى تتنقل بين المجموعات للمتابعة والإرشاد. أومات إلى أماني بأن الأمر على مايرام، حينها أشارت لها أماني إلى طالبتين تجلسان بعيدًا، كان الغضب باديًا عليهما، وعندما سألتهما عن سبب غضبهما أجابتا: "لأن زميلتين لنا غادرتا الغرفة تبكيان، ولم تستطيعا العمل".

تمالكت ميرفت نفسها، ثم غادرت الصف إلى غرفة المعلمات حيث رأت "راما وأروى"، وهما طالبتنان متفوقتان من أفضل طالبات الصف العاشر كانت عيناهما دامعة وتعبيرات وجههما غاضبة. اقتربت المديرة منهما، وقد لاحظت أن المعلمة "هند" وهي معلمة الصف الأول ثانوي وعمة راما أيضًا، قد هدّأتهما.

المديرة: "يا فتيات، ما الأمر؟ هذا التصرف لم أتوقعه منكما ،لماذا خرجتما من الصف؟ "

راما: " لم نستطع التحمل أكثر!إن الصف العاشر ليس وقتًا للتسلية والمرح. يجب أن نكون مستعدين للعام القادم والمعلمة لا تأخذ الأمر بجدية كافية، إن هذا سيؤثر على علامتنا. لا.. لا نستطيع العودة إلى حصتها".

قالت ميرفت: "بداية، اذهبن واغسلن وجهيكما ثم نلتقي بمكتبي. هيا. سأنتظركما هناك".

بعد أن غادرت الفتاتان، نظرت إلى المعلمات في الغرفة وقالت بترو وهدوء: شكرًا لكُنّ لإخباري. يرجى العودة الى عملكن واسمحن لي بالتعامل مع هذا الموقف بالطريقة المناسبة.

غادرت ميرفت إلى مكتبها، وهي تفكر فيما تحتاج إلى قوله، وبعد عودة الطالبتين أوضحتا أن المعلمة سلوى طلبت إليهن العمل ضمن مجموعات في مهمة كتابية، وقامت بتوزيعهن على المجموعات بنفسها.

أروى: "لا يمكنني العمل مع إسراء وعائشة ومنى، والكل يعرف أن إسراء بالكاد تستطيع الكتابة، وعائشة غالبًا ما تكون غائبة، وأنا لا أتفق مع منى. لقد أخبرتنا أنّ العلامات ستعطى بالتساوي لكل أفراد المجموعة، ويجب علينا إظهار كيف نعمل معًا، وهذا ليس عدلًا. لم يُردن حتى الاستماع إلي، وكان الوقت قد أوشك على الانتهاء! أردت العمل بمفردي أو مع سلمى، التي هي أيضًا لم تحب مجموعتها."

أجلست ميرفت الطالبتين، وتحدثت معهما لبرهة حول أهمية التواصل مع المعلمة واحترامها. وأقنعتهما بالعودة إلى الصف ولكنها شعرت أن هذه ليست سوى البداية.

باكرًا من الأسبوع التالي، استخدمت سلوى الأسلوب نفسه مع طالبات الصف السابع بحضور المنسقة، بدت الأمور أكثر صعوبة، ولكن المجموعات عملت سويًا وكانت النتائج مقبولة من الجميع. لاحظت المديرة وجود بعض الإزعاج أثناء مرورها، كما لاحظت أيضًا كيف أن الطالبات يعملن للوصول إلى هدف الدرس.

في الوقت ذاته لم يكن تقييم المنسقة إيجابيًا، فقد ركزت على الإزعاج وفسّرته بأنّه "افتقار للإدارة الصفية". وهذا كان سببًا في التوتر الناجم بينها وبين سلوى ، وهذا ما ترك ميرفت في مأزق وخيار صعب بين ضرورة إيقاف المنسقة عن دعم سلوى، أو اعتماد التقرير الذي تكتبه. في النهاية، حضرت عشر دقائق من الدرس فقط، لقد تركت التقييم جانبًا ولكنها كانت مدركة أنه سيؤثر على تقييم سلوى في نهاية العام.

الشعور بالخسارة

من وجهة نظرها، شعرت أماني أن المديرة كانت تتساهل كثيرًا مع سلوى. لقد درّست مدة كافية تمكّنها من الحكم على الأمور، كانت تشعر بأن الأساليب التي استخدمتها في التّدريس هي التي منحت المدرسة هذه السمعة الإيجابية، مما جعل المدرسة معروفة بعلاماتها المميزة في اللغة الإنجليزية، لذا لم تفهم لماذا اعتبرت المعلمة الجديدة التي لم تهتم بالإدارة الصفية شخصًا يتمتع بمصداقية أكبر؟

كانت أماني مع المعلمات الأخريات عندما قدّمت المديرة المعلمة الجديدة سلوى: "أود التّرحيب بسلوى، وقد أنهت مؤخرًا برنامج تأهيل المعلمين، وستضيف الكثير إلى المدرسة"

بعد أربعة شهور، طلبت المديرة إلى سلوى أن تعطي ورشة عمل حول التّعلم النشط لمعلمات المدرسة جميعهن، بعضهن يتمتع بخبرة مدتها (٢٠) عامًا! ومعظمهن قضين أكثر من سبع سنوات في المدرسة وبما يعادل ٩ سنوات من الخبرة في التدريس، كثير من المعلمات شعرن بالاستياء من المعلمة الجديدة، وكانت ميرفت لا تزال تذكر بعض التعليقات والملاحظات منهن.

– "لماذا اختيرت سلوى لتقديم الورشة، بينما مدة عملها لم تتجاوز الأربعة أشهر؟"

– "هل من العدل تجاهل كل سنوات خبرتنا فقط لأنها تحمل شهادة التأهيل؟

قدّمت سلوى في الورشة بعض الأفكار الجديدة.، لكن كان من غير المفيد أن تدرب المعلمة الصغرى والأقل خبرة المعلمات الأكثر خبرة. قليل من المعلمات بقين الوقت كاملًا، وكان على أماني المغادرة لاصطحاب ابنها من المدرسة الإعدادية القريبة بعد (١٥) دقيقة من بدء الورشة، ولكنها كانت تثق برأي المعلمات. بالإضافة الى ذلك، لم تحصل طالبات سلوى على الدرجات المرتفعة التي حصلت عليها طالبات الصفوف الأخرى، ولذلك مر أحد الآباء على مديرة المدرسة للشكوى والاعتراض.

تدخل أولياء الأمور

"إن ابنتي تريد دراسة الطب... ما لم تأخذ علامة مرتفعة لن تستطيع دخول الجامعة، هذا ليس وقتًا مناسبًا للتغيير اتركوا ابنتي تتخرج، ثم افعلوا ما تريدون!"

"سيدي، رجاء"، حاولت سلوى حبس دموعها وإظهار هدوئها أمامه. "لن يظهر التّحسن باللغة بين ليلة وضحاها. أعطنا فرصة وسترى أنّها ستتعلم اللغة الإنجليزية بشكل أفضل. إن الأمر لا يتعلّق بالعلامات".

"كيف تستطيعين قول ذلك؟ هل ستقومين بكتابة امتحان الثانويّة العامة؟ هل ستقومين باتخاذ قرار دخولها الجامعة؟ كلنا يعرف ماهية امتحان التوجيهي. علّموهن كيف يجتزن الامتحانات، ولا تفسدن مستقبل ابنتي. لن أستمع إليك أكثر. من الواضح أنك لا تعلمين ما الذي تفعلينه. سأطلب إلى المديرة نقل ابنتي من الصف أو ربما من الأفضل نقلك أنت لصف آخر ".

ماذا الآن؟

جاء أربعة من أهالي الطالبات أيضًا للشكوى عند ميرفت، كانت سلوى تبكي في مكتبها وتقول: إنها ستقدم استقالتها في حال انتقلت لتدريس صفوف دنيا. في الوقت ذاته،

كانت أماني مصرّة على ألا تبقى سلوى في تدريس الصفوف العليا.

كانت ميرفت تفكر في خيارات عدة متاحة، وكيف سيؤثر كل منها على الطالبات والمدرسة. كيف يمكنها حل هذا الخلاف بين المعلمات والمعلمة الجديدة؟ وكيف ستتغلب على التوترات المستقبلية التي من الممكن أن تظهر عند انضمام معلمات مبتدئات أكثر في السنة القادمة مع الحفاظ على جو إيجابي في المدرسة؟ ماذا يمكنها أن تفعل بموضوع سلوى؟ كيف يمكنها الاستمرار بتشجيعها، وطمأنة الأهالي والطالبات والكادر التعليمي؟ لم تكن تعلم ماذا ستفعل...؟

أسئلة تأملية

- ما القرارات التي يجب على مدير المدرسة اتخاذها في هذه الحالة أو أية حالة مشابهة؟
- هل نقل سلوى لتدريس الصفوف الدنيا قرار صائب؟ كيف سيُفسَّر ذلك من زميلاتها وأولياء الأمور؟
- كيف يمكن للمدير تشجيع معلميه على تجربة استراتيجيات جديدة وأساليب مختلفة بعد النظر فيما حصل؟
- كيف تستعيد سلوى ثقة الطالبات وأولياء الأمور؟
- كيف يمكن حل التوتر بين المعلمين من أجل التشجيع على تعليم أفضل وبيئة مدرسية إيجابية؟
- كيف يعرّف نجاح الطلبة في سياق المدرسة؟ كيف تحدّد شخصيًا نجاح الطلبة؟

هل الدعم الفني يساعد الجميع؟

مقابلة المدير

كان صباحًا ربيعيًا دافئًا مشعشًا بشمس خجلى تشق طريقها على مهل إلى كبد السماء، عندما انطلقت منى بسيارتها متجهة إلى وسط العاصمة عمان، وعندما وصلت المدرسة، وهمت بالنزول التفتت إلى ملف أوراق ملقى على الكرسي الذي بجاورها التقطته وهي تخرج نفثة نفس من أعماقها.

كانت البوابة الرئيسة للمدرسة مغلقة، لكنها كانت تسمع صيحات الأولاد الذين يلعبون كرة القدم خلف الأسوار العالية، ومن الشقوق بين إطار الباب والجدار، استطاعت رؤية ولد صغير يحاول بقوة فتح الباب دون جدوى، إلى أن حصل على مساعدة من معلم التربية الرياضية.

التقت منى مدير المدرسة في الساحة فألقت عليه التحية: "صباح الخير سيد ماهر"، ورافقته إلى مكتبه. أجالت نظرها أثناء مرافقته على الجدران والأبواب والنوافذ المتضررة في بهو المدرسة، والتي عكست ربما ثقافة العنف والتخريب فيها.

"سعيد أن الأمر نجح هذه المرة؛ فجميع مدرسي اللغة العربية هنا وكذلك مدربتهم". قالها مدير المدرسة بابتسامة دافئة. "أخيرًا!!" أجابت المدربة منى وهي تحتسي قهوتها العربية، وفي لحظة سريعة دار الجدول الزمني للتخطيط لهذه الزيارة في رأسها؛ فقد فشلت الترتيبات اللازمة لزيارة الدعم هذه مرارًا وتكرارًا؛ فقد كان المعلمون يعتذرون في اللحظة الأخيرة أو يغيبون، متجاهلين المواعيد المحددة مسبقًا.

تذكرت جميع المناقشات والمحاورات لتحقيق ذلك، كان المعلمون يقرّون أنّ ممارسات البرنامج في تعليم القراءة والكتابة مفيدة وعملية، وساعدتهم في تحسين استراتيجيات القراءة والكتابة الخاصة بهم، إلا أنّهم لم يطبقوا أيًا من تلك الاستراتيجيات في صفوفهم الدراسية؛ بحجة أنّ الطلبة في الصفوف من الرابع إلى الثامن في مدرستهم متدنو التحصيل ولا يبالون، ويأتون إلى المدرسة لملء فراغ يومهم لا غير.

علاوة على ذلك، لا يمكن للمعلمين تخيل أنفسهم يتمثلون دور القارئ أو الكاتب الخبير وينمذجون استراتيجيات القراءة أو الكتابة في صفوفهم الدراسية. كانوا يرددون دائمًا: "لا ينجح هذا في سياقنا، سيهزأ طلابنا منا وهذا من شأنه أن يزيد من سوء الانضباط في الصفوف الدراسية لدينا. يمكن لهذا الأمر أن ينجح في مدارس الإناث أمّا في مدارسنا فلا يمكن ذلك".

وتذكرت حينها تحديهم لها قائلين: "تعالي وعلّمي ورشة الكتابة، وستفهمين ما نعني". كان ذلك اقتراحًا منطقيًا وحلًا عمليًا بالنسبة لها.

خططت منى معهم لزيارة المدرسة؛ لتطبق جلسة توليد أفكار لكتابة القصة الشخصية في الصف السابع، الشعبة "أ" والمعلمون الثلاثة يلاحظون تطبيقها. ثم اتفقت أن يقدم أحد المعلمين الثلاثة استراتيجية أخرى في توليد الأفكار؛ لمساعدة طلبة الصف السابع في الشعبة الأخرى "ب" لكتابة قصصهم الشخصية.

التخطيط للحصة النموذجية

في اجتماعها الذي استمر خمس عشرة دقيقة قبل الحصة، تشاركت منى مع المعلمين نسخًا من خطة الدرس حول (توليد الأفكار لكتابة قصة شخصية من خلال التفكير بأشخاص يعنون لنا كثيرًا، وجمعتنا معهم لحظات خاصة) اتبعت خطة الدرس نموذج الانتقال التدريجي للمسؤولية، والذي يتحمل فيه المعلم المسؤولية كلها بينما يوضح استراتيجية القراءة أو الكتابة الجديدة باستخدام النمذجة جنبًا إلى جنب مع التدريس المباشر، بعد ذلك يطبّق الطلبة هذه الاستراتيجية بتوجيه ودعم مكثف من المعلم، ثم ينتقلون إلى العمل المستقل على نصوصهم الخاصة حيث يعملون على تطبيق الاستراتيجية الجديدة بالإضافة إلى استراتيجيات أخرى سبق أن تعلموها في القراءة والكتابة.

عندما انتهى المعلمون من قراءة الخطة، ركزت منى على اللحظات الخاصة التي ستتظاهر بأنها تفكر فيها أمام الطلبة لتلهمهم للتفكير بلحظات مماثلة، واستشارت المعلمين إذا كانت تلك اللحظات مناسبة لطلبة الصف الذي ستدرّسه، كما أشارت إلى أنها ستستخدم الكتابة والرسم؛ لضمان تمكن الطلبة جميعهم من التعبير عن أفكارهم أثناء مرحلة (العمل المستقل)، كما أوضحت استراتيجيتها إشراك الطلبة كلهم في العمل الثنائي؛ بهدف التفكير في لحظاتهم الخاصة في الجزء الثاني من الحصة، وأنهت ببعض الأفكار حول الدعم الذي قد تقدمه للصف بأكمله، في مجموعات صغيرة، أو مع الطلبة بشكل فردي مستقل. لم يعقّب المعلمون بشيء عدا الابتسامات الفاترة.

تنفيذ الحصة النموذجية

اتّجه اثنان من المعلمين (خالد وعماد) بصحبة منى إلى الصف، بينما رحّب سامي بهم عند باب الصف السابع، سار تنفيذ الدرس تمامًا كما هو مخطط له. وعلى عكس توقع المعلمين، بدا الطلبة منضبطين أثناء العمل ومندمجين في المهمات؛ كانوا قادرين على جمع الأفكار بشكل مستقل لقصصهم الشخصية، والتفكير في لحظات خاصة عاشوها أثناء الكتابة. كان باديًا بوضوح أن نصفهم تقريبًا حققوا توقعات مستوى الصف السابع في التهجئة واختيار الكلمات، بينما كان بقيتهم يحاولون بصعوبة، ولجأ عدد قليل منهم إلى الرسم بدلًا من الكتابة في وقت العمل المستقل.

في جلسة تأمل قصيرة بعد الحصّة، أشاد المعلمون بتدريس منى وفوجئوا بمشاركة الطلبة العالية وأدائهم. ومع ذلك، زعم (عماد وسامي) بأن الطلبة كانوا منضبطين بشكل غير متوقع وتفاعلوا بشكل إيجابي فقط؛ لأنّها كانت ضيفًا زائرًا، ولأن ثلاثة معلمين آخرين كانوا يجلسون ويلاحظون الحصّة في الجزء الخلفي من الصّف.

الحصة الثانية

قام خالد، الأكثر خبرة بين زملائه، بتدريس طلبة الشعبة الأخرى من الصف السابع باستراتيجية أخرى مشابهة لحث الطلبة على جمع الأفكار للقصة الشخصية بعنوان: (توليد الأفكار لكتابة قصة شخصية من خلال التفكير بأماكن مهمة ولحظات خاصة في تلك الأماكن). كان تعليمه مزيجًا من أساليبه التقليدية، وتلك التي نفذتها المدربة في الحصة

السابقة. وعلى الرغم من طول الوقت الذي أمضاه في مرحلة التدريس المباشر للاستراتيجية ونمذجة لحظاته الخاصة، نجح خالد في منح الطلبة وقتًا كافيًا للتفكير في الأماكن واللحظات بشكل فردي، ثم النقاش في ثنائيات، وفي وقت العمل المستقل بقي الطلبة منشغلين جدًا بالكتابة والرسم حتى فاجأهم الجرس معلنًا نهاية الحصة. كان من الواضح أن المعلم كان جادًا وصارمًا للغاية، وبدا لمنى أن طلابه يحترمونه ويستمعون إليه. انضم مدير المدرسة في النصف الثاني من الحصة وأعجب بالطلبة الذين شاركوا لحظاتهم في نهاية الحصة.

جلسة التغذية الراجعة

بعد حصة الشعبة الثانية عقدت منى جلسة تغذية راجعة لخالد بحضور المعلمين الآخرين "عماد وسامي". ركزت المناقشة على الإيجابيات وعلى ما يمكن تحسينه، كانت التغذية الراجعة التي قدّمها المعلمون حول حصة خالد في الغالب مبنية على مقارنتها بالممارسات والتطبيقات التي قدّمتها المدربة في الشعبة الأولى.

في الجزء الثاني من الجلسة، دفعت منى المعلمين إلى مناقشة ما إذا كانت مناقشات الطلبة وكتابتهم في الشعبتين فاعلة في مساعدتهم على ممارسة اللغة العربية الفصحى في سياق ذي معنى. استجاب المعلمون الثلاثة بشكل إيجابي، وقدموا أمثلة جيدة من الشعبتين.

قال سامي: "لقد تأثرت بأفكار الطلبة الضعاف، فنادرًا ما يتحدث علي وسمير في حصصي، لكنهما اليوم تألقا! لقد ركز كلاهما في المهمة المعطاة لهم في الحصة وقدما أفكارًا جميلة".

وعقّبَ خالد قائلًا: " بالنسبة لي، أعتقد أنها كانت فرصة ثمينة بأن سمحنا للطلاب توظيف المفردات واللغة التي تعلموها للاستخدام شفويًا وكتابيًا. لقد درست هذا في برنامج الماجستير في الجامعة، ولكنّي اليوم مارسته باستخدام الأنشطة العملية وإشراك الطلبة في عملية التعلم الخاصة بهم. أعتقد أنّه من المهم أن نمنح الطلبة فرصًا للتعبير عن أفكارهم الخاصة، فيمكن لمخرجاتهم الشفوية والمكتوبة أن تدلنا على احتياجاتهم الخاصة من حيث اختيار الكلمات والنطق والهجاء وبناء الجمل والفقرات".

أومأ عماد –المعلم الثالث– رأسه بالاتفاق مع ما قاله زملاؤه.

ردّت منى بشجاعة: "حسنًا، إنّ كتابة القصة الشخصية ليست سوى البداية. إنّها الصنارة التي تجلب الطلبة إلى عالم الكتابة! في ورشة العمل التالية، سنتعلم كيفية تدريس كتابة النصوص المعرفية. من تجربتي، يحبّ الطلاب هذا النوع على وجه الخصوص؛ لأنهم يصبحون مؤلفي كتب معرفية عن كرة القدم، أوالطائرات أوالتلوث أو موضوعات أخرى تروقهم وتشكل موضع اهتمامهم. في العام المقبل، ستركز ورشة الكتابة على كتابة المقال، وأنا أستشعر مدى دهشتك من الآراء القوية المدعومة بالأدلة للكتّاب الصغار".

سألت منى: "هل تشعرون بمزيد من الثقة بشأن تطبيق البرنامج الآن؟" لم تتلقَّ أي إجابة عن سؤالها لفترة من الوقت. كسر خالد الصمت قائلًا: "في نهاية حصة اليوم، أخبرت طلبتي أنّنا سنستمر، وسأفعل إن شاء الله، لكن

كي أكون صريحًا معك، ما زلت غير متأكد من تطبيق النمذجة بالطريقة التي تعلمناها في البرنامج. أدرك أهميتها، لكن لم يكن من السهل التحدث عن حياتي الخاصة أمام طلبتي. ببساطة لا أشعر بالراحة خلال تنفيذها، وأخشى أن يُضر ذلك بسمعتي الجادة أو أن يضعف شخصيتي القوية التي طالما جعلتهم ينظرون إليّ نظرة توقير واحترام ودفعتهم للعمل باجتهاد".

بمجرد انتهاء خالد من الحديث، عاد المعلمان "عماد وسامي" إلى التذمر مرة أخرى من مدى ضعف طلبتهم وإهمالهم ومقاومتهم. تذمر سامي من أن نصف الطلبة أو أكثر في الصفوف التي يدرسها لا يستطيعون القراءة، والأهل لا يقدمون دعمًا لأبنائهم في التعلم بل إنهم لا يحضرون اجتماعات أولياء الأمور. لقد نشأت المشكلة من الصفوف المبكرة ونحن نقطف ثمارها، إن بعض طلبتنا بحاجة إلى مساعدة في أبسط أبجديات القراءة بل إن بعضهم يحتاج إلى أن يعرف الحروف. والواقع أننا لا نملك وقتًا إلا لتدريس المنهاج ولا نستطيع فعل المزيد".

وأضاف عماد: "استراتيجيات هذا البرنامج قوية حقًا، لكن أخشى أن هذا هو المكان الخطأ؛ فطلبتنا غير مستعدين للقراءة أو الكتابة الإبداعية. وفضلًا عن ذلك، كل واحد من معلمي اللغة العربية لديه ما يربو عن عشرين حصة أسبوعيًا، وهذا يُشكّل عبئًا ثقيلًا علينا، ولا سيما أننا جميعًا مشغولون في فترة ما بعد الظهر. فخالد يقوم بتحرير النصوص، وأنا أساعد عائلتي في العمل في المزارع، ويدعم سامي أعمال والده، ناهيك عن الانتقال اليومي المحموم ذهابًا وإيابًا الذي نقوم به سامي وأنا يوميًا من خارج العاصمة إلى وسطها المزدحم".

لم تعرف منى ما تقول بعد ذلك.

العودة إلى مكتب المدير

بعد الانتهاء من جلسة التغذية الراجعة مع المعلمين، أُتيحت لمنى فرصة اللقاء مع المدير مرة أخرى. كانت تعمل معه بشكل متزامن في برنامج القيادة التعليمية الذي يعزز قدرة مديري المدارس والمشرفين التربويين على تقديم الدعم للممارسات التدريسية لمباحث اللغات والعلوم والرياضيات بشكل خاص والمباحث الأخرى بشكل عام. أشادت منى بالإمكانات التي رأتها عند المعلم خالد وأوصت بتقديم المزيد من الدعم له. وشاركت المدير قلقها بشأن مواقف المعلمين الآخرين تجاه تحسين ممارساتهم التعليمية.

أكد مدير المدرسة مخاوفه قائلًا: "هذا هو السبب في أنّي دفعتهم للالتحاق ببرنامج التنمية المهنية في تدريس القراءة والكتابة. كنت مدرسًا للغة العربية، وبناءً على ملاحظاتي وملاحظات الطلبة، فإن خالدًا معلم قدير؛ فلغته دقيقة ومتمكن بما يدرسه وجاد في مساعدة طلابه، وأمّا المعلمين الآخرين فقدراتهم محدودة من حيث التمكن في المحتوى والأساليب التربوية المساندة، ولذلك فإنّنا نعاني من إدارة سلوك طلبتهم وضبطهم.

في كل مرة أحضر درسًا عند أيهما أشعر بخيبة أمل إزاء كمية المحاضرات وملل الطلبة. كلاهما إمّا يتحدثان أو يكتبان على السبورة طوال الوقت بينما لا يفعل الطلبة أي شيء. كما أنّ نتائجنا في الامتحانات الوطنية تزداد سوءًا عامًا بعد عام. لقد تخرجت من هذه المدرسة، وقد كانت مدرسة جيدة في ذلك الوقت وأريد أن تعود إلى مجدها السابق. أولادنا ليسوا بهذا السوء ويستحقون الأفضل. ولكنني لا أملك سلطة لفصل عماد وسامي –ولا أحبّذ ذلك– وأثق أن مساعدتهم ومعلمين آخرين مثلهم في جميع أنحاء البلاد هي الطريقة الوحيدة لإنقاذ مستقبل أولادنا".

هذه الكلمات الكبيرة ألقت بثقلها على منى.

ردّت منى بتردد: "سأناقش هذا الأمر مع فريقي وأرى ما إذا كان بإمكاني العمل بشكل مكثف مع المعلمين. لكن تذكّر أن نجاح هذا الأمر يتطلب الالتزام بالعمل الجاد من الطرفين" ثمَّ أضافت بصوت أقوى وأكثر ثقة: "يحتاج المعلمون إلى إظهار استعدادهم والتزامهم بالعمل الجاد لتحسين مهاراتهم التدريسية".

بخطوات ثقيلة، عادت منى إلى سيارتها المتوقفة في الظل على بعد حوالي خمسين مترًا من مبنى المدرسة. وفي طريقها تنبهت إلى أن ذلك اليوم كان يصادف بداية العام الثالث لها داعمة ومدرّبة في هذا البرنامج، حينها ومضت في رأسها جملة من مقابلتها النهائية لهذه الوظيفة: "أنت معلمة قوية وواثقة، وستسمح لك هذه الوظيفة بمساعدة جميع المعلمين والطلبة في الأردن"

دخلت سيارتها، شغلت المحرك، وتأملت بعمق: "هل أنا قادرة حقًا على التأثير في هذه المدرسة؟ هل أنا قوية بما يكفي للقيام بذلك رغم كثير من الأجزاء المفقودة من اللغز؟ " هذه الأسئلة وتداعيات أخرى أخذت تتردد في رأسها دون إجابات واضحة ووعيها بات منشغلًا باكتشاف طريق العودة إلى مكتبها.

أسئلة تأملية

- إذا أردت أن تنصح منى، ماذا تقترح أن تفعل مع المعلمين المترددين في تطبيق ممارسات برنامج التنمية المهنية في تدريس القراءة والكتابة؟
- ما دور مدير المدرسة في تحسين التعليم؟
- هل هناك طريقة لإشراك المعلم خالد في عملية تحسين التدريس في مدرسته؟
- كيف تؤثر توقعات المعلمين من طلابهم على أدائهم وطريقة تدريسهم؟

السنة الدراسية المصيرية

يعدّ امتحان الثانوية العامة (التوجيهي) الذي تعقده وزارة التربية والتعليم من أهم الامتحانات الوطنيّة؛ لأنّ نتائجه تحدد مصير المسار الأكاديمي والمهنيّ المستقبلي للطلبة؛ فيلجأ كثير منهم إلى الدروس الخصوصية المكلفة لضمان اجتيازهم الامتحان بامتياز، لا سيّما أنّ قبولهم في بعض الكليات كالطب والهندسة والصيدلة منوط بحصولهم على علامة مرتفعة جدًا؛ ممّا يجعلهم وأهليهم يعيشون في حالة من القلق الدائم والفوضى العارمة طيلة العام الدراسي الأخير؛ فهدف الأهل حصول أبنائهم على معدل مرتفع؛ ليستفيدوا من المنح الجامعية، والتفاخر أمام أصدقائهم ومعارفهم بتفوّق أبنائهم – ويتفاقم هذا الأمر في القرى أكثر منه في المدن– فإذا حصل مرادهم فإنّهم يحتفلون بنجاح أبنائهم بتلك المناسبة أيّما احتفال .

يشكل امتحان الثانوية العامة عبئًا نفسيًا كبيرًا على معلمي الثانوية العامة، ومسؤولية عظيمة تقع على عاتقهم لتأدية واجبهم بأمانة وإخلاص في وقت محدود؛ فيلجأ المعلمون إلى اتباع الطريقة التقليدية في التدريس والتي يرونها الأنسب؛ حتى يتمكن الطلبة من الحصول على وقت أطول للاستعداد للامتحانات.

التغريد خارج السرب

بدت "زينة" معلمة اللغة العربية واثقة من نفسها وهي تعدّ أوراق العمل الخاصة بقصيدة المتنبي (واحرّ قلباه) المقررة على طالبات الثانوية العامة، معتقدة أنّ خطتها التفاعلية سوف تحرر الطالبات من الرتابة المستمرة خلال اليوم الدراسي.

أعدت المعلمة ورقة العمل حيث تضمنت أسئلة تعالج فيها أفكار القصيدة ومضمونها، واعتقدت أنّ حصة اللغة العربية ستكون ممتعة في اليوم التالي، وستثير تفكير الطالبات؛ ففي كل مرة تخطط زينة لحصصها تشعر بالثقة والتحدي، وتنتظر بشغف لبدء حصتها.

في صبيحة يوم الخميس حان موعد الحصة، فقادت زينة طالباتها إلى قاعة كبيرة جديدة في المدرسة، ووزّعتهن في مجموعات، ثم وضّحت الإرشادات العامة لسير الحصة، وطريقة تدوير أوراق العمل بين المجموعات. سارت الحصة كما خطّطت لها، وأنهت المجموعات عملها، ونوقشت الإجابة النموذجية؛ فسُرَّت زينة لتحقيق هدفها التربوي بنجاح.

وأثناء توزيع بطاقات الخروج على الطالبات في نهاية الدرس، انتبهت المعلمة زينة إلى أن الطالبة شادية، كانت مكتوفة اليدين، عابسة الوجه، فانتهزت فرصة سماعها سؤال المعلمة: كيف كانت الحصة اليوم؟

شادية: "أنتِ لم تشرحي الدرس اليوم!"

ران الصمت على الطالبات جميعهن.

المعلمة زينة بصوت خافت مخنوق: "وماذا كنا نفعل إذًا؟!"

شادية: ما جرى ليس شرحًا، لم أستطع تدوين ملاحظة واحدة، فضلًا عن أنك

لم تناقشي القواعد النحوية والصرفية معنا.

طبيبة المستقبل

كانت شادية طالبة جادة متفوقة علميًا على قريناتها في مقررات الرياضيات والعلوم المدرسية، لا تعرف المزاح والدعابة، ولا تبتسم كثيرًا، ولكنها طلقة المُحيّا، مريحة القسمات، أنيقة الهندام، هيئتها الخارجية ودقةُ انضباطها المدرسي تومئ إليك أنّها تسير نحو هدفها بخُطى ثابتة. تسجل كل صغيرة وكبيرة تسمعها من المعلمة، وكثيرًا ما كانت تطلب إعادة الشرح إن لزم الأمر. كانت كغالبية طالبات صفها في الفرع العلمي ترغب في دراسة الطب في إحدى الجامعات الحكومية في الأردن، وقد أخبرت المعلمة زينة وبعض معلمات المباحث الأخرى أنها تعتمد عليهن في فهم الدروس؛ لذلك لم تأخذ دروسًا خصوصية.

في صبيحة يوم الأحد، استدعت مديرة المدرسة المعلمة زينة إلى مكتبها بوجود المرشدة التربوية في المدرسة. كانت المديرة تثق بأداء المعلمة التدريسي، لا سيما بعد تلقيها عدة رسائل توصية وثناء من المشرفين، لكنّ زينة شعرت أنّ المديرة لديها وجهة نظر مختلفة عن السابق.

المديرة: "تلقيت البارحة شكوى من بعض طالبات الصف الثاني عشر مفادها أنّك لم تشرحي درس اللغة العربية، وأنك جعلت الطالبات يعملن كل شيء بأنفسهن؟"

المعلمة زينة: "لقد شرحت القصيدة بطريقة التعلم النشط/ الورقة الدوارة، وقد عالجت الورقة كلّ القضايا المطلوبة في شرح القصيدة، وتفاعلت الطالبات جميعهن معي، وأنجزن المهمات الموكلة إليهن على أكمل وجه، وفي الوقت المحدد، كما خطط لها."

المديرة: "سأكون واضحة معك، بعض الطالبات لم يعجبهن هذا الأسلوب، وطالبن بإعادة شرح الدرس بالطريقة المعتادة، وقد تواصلت والدة الطالبة شادية مع مرشدة المدرسة، وقدمت شكوى حول أسلوبك في التدريس."

تابعت المديرة: "اسمعيني يا زينة، أنا أثق بك، لكن لا جدوى من اتباع الطرق الحديثة في تدريس طالبات الثانوية العامة اللاتي يتهيأن لامتحانات الثانوية العامة؛ فالطريقة المثلى لهن هي (الطريقة المباشرة في التدريس). اتّبعي الأساليب التدريسية كيفما تشائين في الصفوف الأدنى، ولكن ليس في الصف الثاني عشر."

المرشدة موجّهة كلامها إلى المعلمة زينة: أفترض بأننا جميعًا متفقات على أنّ طالبات الثانوية العامة يعشن توترًا كبيرًا بسبب الامتحانات الرسمية، ولا يمكن أن نزيد من اضطرابهن أكثر باتباع أساليب تدريسية لا يشعرن بالأمان نحوها. أنصحكِ بإعادة شرح الدرس.

وفي هذه الأثناء دخلت وليّة أمر الطالبة شادية، فصافحت المعلمة زينة، وجلست موجّهة كلامها إليها.

والدة شادية: "ابنتي تثق بكِ، ولم تأخذ درسًا خصوصيًا في مبحث اللغة العربية، فأرجو منكِ إعادة شرح الدرس، ولا أخفيك، إنّ جميع أقاربنا ينتظرون من شادية معدلًا مرتفعًا في الثانوية العامة؛ فهي ترغب في دراسة الطب ونيل منحة دراسية، ولن أسمح بحدوث ما يمكن أن يحول دون ذلك."

المعلمة زينة: "ولكنّ ابنتك وسائر الطالبات تفاعلن في الحصة، وأنجزن الأنشطة بنجاح ينمّ عن فَهمهن الدرس. لم أكن إلا ميسّرة للتعليم، ومارست التعلم النشط؛ لأخفف من ثقل الحصص عليهن، ولأمكّنهن من الاعتماد على أنفسهن في التعلّم بدلًا من التلقين."

المرشدة: "لكن الأوْلى بنا في المدرسة استيعاب الحالة النفسية للطالبات، وإعدادهن لامتحانات الثانوية العامّة، بصرف النظر عن طريقة التدريس."

المعلمة زينة: "أقدّر الحالة النفسية التي تعيشها الطالبات وذويهن، و لكن إلى أيّ مدى يمكن أن يقود الطلبة معلمهم؟ مَن يقود الآخر؟ هل من الحكمة أن يستجيب المعلم لرغباتهم التي تتعارض مع قناعاته ومع خبرته التدريسية، رغم الأساليب التي تحقق فائدة تدريسية فضلى؟ أمامي أربعون طالبة، كلّ واحدة مختلفة عن الأخرى، وعليّ أن أروح في أساليبي التدريسية كي تنسجم معهن جميعًا، دون أن يقتصر الأمر على مجموعة طالبات يفضلن التلقين"

المديرة: "أذكّرك يا زينة، بأنك المسؤولة عن نسب نجاح طالبات الثانوية العامة في مادة اللغة العربية في المدرسة؛ لذلك لا تجازفي أكثر، ولا تتسببي بتوتر الطالبات. "

المشرفة التربويّة

اتصلت المديرة بالمشرفة التربويّة للمبحث هاتفيًا كي تناقشها، وأخبرتها بتفعيل السمّاعة الخارجية للهاتف، سألتها المديرة: بما أنكِ مطّلعة على سير أساليب التدريس المتبعة في مدرستنا، وسمعتِ بفحوى الشكوى، ما رأيكِ بذلك؟ وهل قدمت شكوى سابقة على أسلوب المعلمة في التدريس؟

المشرفة التربويّة: "المعلمة زينة واحدة من أكثر المعلمات كفاية وخبرة، ومن اللاتي يعرفن في استراتيجيات التدريس الحديثة، ونسبة النجاح لديها مرتفعة في الثانوية العامة، ومع ذلك فقد تقدمت والدة إحدى الطالبات بشكوى ضدها في العام السابق، مفادها أنّ المعلمة تعتمد على الطالبات في الشرح."

أم شادية ـ بخوف واضطراب وغضب ـ: "وما كانت نتيجة تلك الطالبة؟"

المعلمة زينة: " لم تحصل على معدل مرتفع، بل أخفقت في المباحث جميعها، فمستواها الأكاديمي ضعيف، وكانت تعيش ظرفًا عائليًا صعبًا."

أم شادية: "أنا قلقة جدًا، وأحمّلك المسؤولية كاملة، وسأتواصل مع أمهات طالبات الفرع العلمي لنقدّم شكوى جماعية."

المشرفة التربويّة: "أرجو منك التمهل؛ فالمعلمة مؤهلة، ولديها عشر سنوات من الخبرة في المرحلة الثانوية، وخضعت لكثير من الدورات والمؤتمرات التربوية في التدريس والتعلم التعليم."

المديرة: "لكنّ الأمور تتغير في مرحلة الثانوية العامة، وأريد أن تتقدم طالباتي إلى امتحان الثانوية وهن في غاية الاطمئنان."

المرشدة: "ليس بالضرورة أن نطبّق ما نتعلّمه من استراتيجيات على المرحلة الثانوية."

المشرفة التربويّة: "هذه الاستراتيجيات أثبتت جدواها، وأرى أنّ من حقّ المعلمة زينة أنْ تطبق ما تدربت عليه، ولا يحق لأولياء الأمور التدخل في أساليب التدريس طالما أنهم ليسوا من أهل الاختصاص."

عند هذا الحد أرجأت المديرة النظر في الشكوى إلى حين استدعاء المشرفة التربويّة كي تنظر في الشكوى.

لم يمضِ وقت طويل على هذا الجدل الحادّ، حتى قدّمت مجموعة من طالبات الفرع العلمي شكوى ضدّ المعلمة؛ لأنّها لا تدرسهم بالطريقة التي تناسبهن. وفي مقابل ذلك أيّدت مجموعة ثانية من الطالبات المعلمة زينة في استخدامها الأنشطة التفاعلية، وطالبن ببقائها؛ لأنّ أداءها التدريسي يكسر نمطية الحصص وجمودها، والمعلومات تترسخ في أذهانهن أكثر، نظرًا لتقديمها بطريقة غير مباشرة.

أسئلة تأملية

- ماذا ستفعل لو كنت مكان المعلمة زينة؟
- إلى أي مدى يمكن أن يتدخل أولياء الأمور في أساليب التدريس؟
- برأيك: هل يجب على زينة العودة إلى الطريقة التقليدية في التدريس؟
- ما دور المشرف التربويّ في دعم التغيير في طرق التدريس؟
- لو كنت مدير المدرسة، هل ستعالج المشكلة بطريقة مختلفة؟

لحظة الحقيقة

مساء الأربعاء، كان الجوُّ باردًا والسماء تمطر بغزارة، والضباب أسدل ستارته ليحجب المشهد، وقفت لمى خلف شباكها متأملة الشارع. كانت متعبة ومحبطة للغاية حيث كان صوت طلبتها ما يزال يتردد في رأسها، لم يكن بإمكانها أن تنسى صوت طالبتها ديما: "هل تعتقدين يا معلمتي أننا نحب هذه الحصة أو نفهم شيئًا مما تقولينه؟!"

لم يغب عن بالها نظرة طالباتها لها عندما فقدت أعصابها وأجابت بحدّة، ولم تستطع أن تتفوه بأيّة كلمة عندما سمعت الطالبات يتهامسن أنّ ديما محقة وغادرن الصف.

> نظرت إلى مكتبها وأخذت تفكر فيما قالته المديرة لها ذاك الصباح. قالت في نفسها، وهي تشعر بأنّ قواها منهكة: سأذهب للنوم، وغدًا سيكون كل شيء على ما يرام، إلا أن النوم فارق عينيها تلك الليلة؛ فكلما أغلقتهما أخذت تتذكر طالباتها، وحلمها بأن تصبح معلمة لغة إنجليزية مبدعة، تفتح الآفاق أمام طالباتها ليحصلن على أفضل الفرص. أخذت تسأل نفسها: "ولكن كيف يمكنني ذلك؟"

لمى

كانت لمى طالبة مميزة، حصلت على شهادة البكالوريوس في اللغة الإنجليزية وآدابها، ثمّ التحقت ببرنامج مكثّف لإعداد المعلمين ؛ رغبة منها أن تصبح معلمة على درجة من الكفاية والخبرة. كانت تؤمن دائمًا أن الطلبة لا يمكنهم أن يتعلموا دون الانخراط في تعلمهم كمنتجين للمعرفة لا متلقين لها فقط، وقد تعلمت كثيرًا من الاستراتيجيات التي تمكّنها من تحقيق ذلك في ممارساتها التعليميّة؛ فهي متشوقة لتطبيق ما تعلمته وتدربت عليه في تدريس طالباتها لتحدث تغييرًا نوعيًا في تعلمهن، كان التعليم شغفها الخاص، ما زالت تتذكر معلمتها سحر التي جعلتها شغوفة في تعلم اللغة الإنجليزية.

معلمتي سحر

كانت سحر معلمة محبوبة وصبورة، وتحظى بمحبة الجميع واحترامهم، وتحرص طالباتها على حضور حصصها؛ وذلك بسبب الطاقة التي تشعّ منها، وحرصها دومًا على ربط المعرفة بواقع الحياة، ومن هنا تنامى شغف لمى كي تصبح معلمة لغة إنجليزيّة مثل معلمتها سحر.

شغلت لمى وظيفة معلمة في شهر أيلول في واحدة من المدارس على أطراف المدينة التي تقطنها. كانت المدرسة بعيدة عن منزلها، لكنها لم تُعدّ هذا الأمر عائقًا أمامها بل قررت أن تدّخر جزءًا من راتبها لتنال قرضًا من البنك وتشتري سيارة؛ وذلك لتسهيل وصولها إلى المدرسة.

مدرسة الحياة الثانوية

"مدرسة الحياة الثانوية" مدرسة قديمة، أُسست قبل أكثر من ٣٠ عامًا، تضم ما يربو على

(١٥٠٠) طالب وطالبة، وتُشتَهر بحصول طالباتها على معدلات مرتفعة في امتحان الثانوية العامة. تتبع المدرسة نظام الدراسة المختلطة (بنين وبنات) من الصف الأول حتى الصف الرابع، بعد ذلك يترك الطلبة الذكور المدرسة ويلتحقون بمدرسة الذكور الثانويّة . معظم ا الطالبات يرتبطن مع أسرهن بعلاقات اجتماعيّة، وهو أمر قد ينعكس على العلاقة بين الطالبات في المدرسة بصورة أو بأخرى على بيئة التعلم في المدرسة.

اليوم الأول في المدرسة

في يوم عملها الأول في المدرسة وصلت لمى إلى المدرسة باكرًا وجلست في غرفة المعلمات تنتظر المديرة، كانت الغرفة قديمة، وبدا المكان وكأنّه يحتاج إلى بعض الصيانة والترتيب. كانت بوادر القلق بادية عليها، لكنها أخذت تطمئن نفسها بأنَّ كل شيء سيكون على ما يرام، فهذا هو فقط اليوم الأول. بعد ذلك أخذت تفكر في بعض المبادرات التي ستحسن البيئة التعليمية في المدرسة، في حمأة أفكارها بدأت المعلمات بالتوافد إلى المدرسة وكن يحدّقن بها وأقبلن إليها للتعرّف عليها كونها معلمة جديدة في المدرسة إلى أن حضرت المديرة في السابعة والنصف.

> وقفت لمى وألقت التحية على المديرة قائلة: "صباح الخير أستاذة ليلى. أنا لمى معلمة اللغة الإنجليزية الجديدة في المدرسة."
>
> ردّت المديرة التحية على لمى ورحبت بها، وسألتها عن مؤهلها العلمي. بدأت لمى تتحدث عن حياتها العلمية والتدريب الذي تلقته لتصبح معلمة، فأومأت المديرة برأسها قائلة : "أتمنى أن تغيري شيئًا في المدرسة بالتدريب الذي حصلت عليه".

لم تستطع لمى فهم ما الذي تقصده المديرة لكنها توجهت إلى مكتبها، وشرعت تنظف مكتبها وترتب أدواتها استعدادًا لبدء رحلتها في التعليم.

حدّدت المديرة الصفوف التي ستدرّسها لمى وهي الصفوف:(السادس والتاسع والعاشر)، وستكون مربية الصف التاسع أيضًا، على الرغم من معرفة لمى صعوبة الأمر إلا إنها قررت أن تقوم بعملها على أكمل وجه.

كانت لمى المعلمة الوحيدة الجديدة و الغريبة عن المنطقة.

عندما كانت تتحدث عن التدريب الذي تلقته، كانت زميلاتها ينتقدن ذلك بذريعة أنه لاحاجة له وأنه ليس بمقدورها أن تغير شيئًا من الواقع، كما أن طالباتهن حصلن على معدلات مرتفعة في الثانوية، وحصلن على مقاعد في كلية الطب والهندسة دون حاجة لأي تدريب.

شعرت لمى للوهلة الأولى بخيبة أمل. وخشيت أن لا يقدم لها أحد من المدرسة الدعم والمساعدة. تجاوزت أفكارها تلك، وقامت بجولة في المدرسة، فلاحظت أنّ مكتبة المدرسة تخلو من مصادر وكتب باللغة الإنجليزيّة، كما انتبهت لعدم وجود سلال لإعادة التدوير في مرافق المدرسة. ورغم ذلك كله ظلّت على ثقة بأنّها تستطيع المساعدة في التغيير نحو الأفضل.

اليوم الأول من دوام الطلبة

كالمعتاد حضرت لمى مبكرًا إلى المدرسة بكامل حيويتها ودافعيتها. كانت هناك مجموعة من الطالبات اللواتي أخذن ينظرن إليها؛ كونها معلمة جديدة في المدرسة.. ألقت لمى التحية عليهن فارتبكن ولكنهنّ رددن التحية. أثار ارتباكهنّ استغرابها، وتساءلت في نفسها:هل من المألوف إلقاء المعلمات التحيّة على الطالبات خارج الغرف الصفيّة؟!

في الليلة السابقة ليوم دوام الطالبات الأول حضّرت لمى بعض الحلوى للطالبات، وجهّزت نفسها للقائها الأول مع طالباتها؛ لأنها تعرف أهمية هذا اللقاء في ترك الأثر الطيب في نفوسهن.

دخلت لمى الغرفة الصفية وحيّت طالباتها وعرّفت بنفسها، ثم نظّمت معهن قواعد للغرفة الصفية، أدركت الطالبات أنّ لمى معلمة مختلفة عندما تحدثت بشغف عن مادتها الدراسية وخطتها للمادة والأساليب التي ستجعلهن يتعلمن اللغة بمتعة. شاركت لمى طالباتها معتقداتها وتطلعاتها عن تعلمهن، كانت الطالبات في غاية السعادة والشغف وهنّ ينتظرن التغيير المنشود.

الشهر الأول

تؤمن لمى أنّ الطلبة لا يمكن أن يتعلموا إذا لم ينخرطوا في تعلمهم من خلال التعلم الجماعي وإشراكهم في أنشطة تعليمية، وتفعيل التكنولوجيا في التعليم.

بدأت لمى أولى مراحل التغيير بدعوة طالباتها إلى مشاركتها في تحسين البيئة التعليمية من خلال مساعدتها في تغيير دهان الغرفة الصفية وجعل المدرسة بيئة جاذبة للطلبة، إضافة إلى حرصها على بناء علاقات جيدة مع طالباتها وزميلاتها في العمل لتحقيق التغيير المنشود، وكانت حريصة على تفعيل الاستراتيجيات الحديثة في التعليم؛ لتصبح الحصة تعزيزًا لتعلم اللغة وليست حصة لتلقين المعلومات.

بدأت لمى عامها الدراسي في غاية الحماس والدافعية. كانت تحضّر الدروس بعناية، وتشتري المستلزمات كافة للغرفة الصفية؛ فقد حرصت على توظيف ما تدربت عليه في حصصها، وتفعيل الأنشطة والاستراتيجيات التي تعزّز دور الطالبات في العملية التعليميّة، لقد كانت في غاية السعادة وهي ترى طالباتها يحرزن تقدمًا ملحوظًا في تعلمهنّ ويستمتعن فيما يتعلمن. حتى أن الطالبات عبّرن عن امتنانهن وسعادتهن بهذا التغيير.

في هذه الفترة كانت لمى لا تزال منغمسة في تجهيز الوثائق المطلوبة للحصول على قرض سيارة. وقّعت الوثائق وحصلت على السيارة في غضون ثلاثة أسابيع، وكانت بمنتهى السعادة بعد أن تخلصت من مشكلة المواصلات.

مواجهة الواقع

بعد عدة أشهر وجدت لمى حالتها المادية في وضع سيء؛ حيث بدأت تستدين من أجل تغطية مصاريفها ومصاريف السيارة، نصف راتبها كان يذهب سدادًا للقرض، وجزء منه وقود للسيارة، وجزء آخر لبعض من مصروفات طفلها، يعمل زوجها في شركة خاصّة وبالكاد يغطي راتبه الشهري متطلبات الحياة اليومية. ومع ذلك أصرّت لمى على المحافظة على روحها الإيجابيّة، وكانت تقنع نفسها بأن الأمور ستتحسن، ولكنّها حين ذهبت للمكتبة لشراء بعض حاجاتها من القرطاسية للتدريس اكتشفت أنّها لم تكن تملك مبلغًا كافيًا لذلك.

بدأت تبحث عن عمل بدوام جزئي لكن لم يكن بمقدورها ترك طفلها وحيدًا، فقرّرت أن تطلب من المديرة تزويدها ببعض حاجياتها من القرطاسية، لكنها فوجئت بردّ المديرة بعدم إمكانيّة توفير هذه الموادّ للمعلمات.

طلبت المديرة إليها أن تستشير زميلاتها، وأن تبحث عن بدائل أقلّ تكلفة كتلك الأدوات البسيطة التي تستخدمها زميلاتها من قلم ولوح في شرح المادة الدراسية. خرجت تفكر بحلول أخرى لهذه المشكلة وقالت في نفسها: "قد يكون بإمكاني أن أطلب بعض القرطاسية من الطلبة؛ فهم لن يتردّدوا بعد أن لاحظوا كيف لمواد بسيطة أن تغيّر من جوّ الحصة الصفية وتحدث تغييرًا للأفضل في تعلمهم". دخلت الصف وطلبت إلى طلبتها إحضار كرتون ملون وورق ملاحظات ولاصق إن إمكن؛ لاستخدامه في أنشطة الحصة القادمة، وقد أبدت الطالبات رغبتهن وحماسهن لذلك.

في اليوم التالي طلبتها المديرة وقامت بمساءلتها، وذلك بعد أن اشتكى أحد أولياء الأمور عليها؛ لطلبها قرطاسية من ابنته. فأجابت لمى بأنّها طلبت من الطالبات ذلك فعلًا، دون إجبارهن على ذلك، بل أبدين الحماس للمساهمة في إحضار بعض الأدوات للحصّة . كما حاولت لمى أن توضح للمديرة وجهة نظرها وأهمية هذه الأنشطة للحصة الصفية وتحسين تعلّم الطالبات، لكنّها لم تقتنع وردّت على لمى قائلة: "إنّ هذا العمل يتعارض مع قوانين المدرسة، ويعرّضك للمساءلة". لم تكتفِ المديرة بذلك بل طلبت إليها أن تتعلم من زميلاتها كيف يكون التدريس بأدوات بسيطة ومع ذلك تحصل الطالبات على معدلات عالية في امتحان الثانوية العامة.، حاولت لمى أن توضح للمديرة أن الطالبات يشعرن بالملل من الطرق التقليدية لكن المديرة قاطعتها قائلة: "ليس الأسلوب هو المهم بل نتائج الطالبات"، فهي ترى أن الطالبات لا تعنيهن كل هذه الأساليب فكلّ اهتمامهنّ مركّز على نتائج الثانوية العامة ومستقبلهن. ثم قالت لها: اذهبي إلى زميلتك راوية فهي أفضل معلمة في المدرسة، وستقدّم لك المساعدة. خرجت لمى من مكتب المديرة وكأن أحدًا صفعها على وجهها، وشعرت أنّها وسط موج يقاوم كل ما تقوم به ولا تجد فيه أي مساندة للاستمرار.

راوية

راوية معلمة لغة إنجليزية لمدة (١٧) عامًا قضتها في مدرسة الحياة، عندما تنظر إليها تبدو صغيرة في السن وهي المعلمة المقرّبة والمحببة للمديرة. تدرّس طالبات التوجيهي منذ (١٣) عامًا، فهي حازمة جدًا والطالبات يخفنها ويحرصن على عدم التأخرعن حصتها، راوية ترى أنّ بعض الطالبات لا يشعرن بحسّ المسؤولية، ويسعين إلى إضاعة الوقت في أشياء ليست ذات قيمة؛ وبذل جهد مضاعف معهنّ وبتكلفة مادّية إضافيّة لن يجدي نفعًا.

أخبرت لمى راوية بمشكلتها مع المديرة، ردّت راوية على لمى: اسمعي، لقد عملت معلمة منذ ١٧ عامًا، وتوصّلت إلى أنّ هناك مشكلة في دافعية عدد كبير من طالباتنا للتعلم؛ وهذه الاستراتيجيات لن تغير من الواقع شيئًا.

ردّت لمى: "على الأقل قد أغيّر شيئًا في حياة طالباتي"، فقاطعتها راوية: "اتركي عنكِ هذة الأحلام وفكّري بواقعيّة والتفتي لحياتك، احتفظي بمالكِ لنفسك؛ فهؤلاء الطالبات لن يقدّرن كل ما علّمناه لأجلهن، ولن يأتي أحد ليسدّد عنك قرضًا أويعطيك فلسًا واحدًا". شعرت لمى بالإحباط وقرّرت في نفسها وبشكل جادّ أن تجرّب أسلوب راوية وبقية المعلمات؛ لترى إن كان أسلوبًا فعّالا لاسيما وأن المشاكل أخذت تزداد مع المديرة يومًا بعد يوم.

نقطة التحول

أخذت يدا لمى ترتجفان وهي تكتب تعليمًا مباشرًا على دفتر التحضير، ثم دخلت الصف وبدأت تتكلم وتتكلم وتكتب على السبورة والطالبات في ذهول لكنهن لم يقلن شيئًا، طلبت إليهن أن يكتبن ما دوّنته على السبورة، ولم تكن لديها القوّة لأن تنظر في أعينهن، ثم قُرع الجرس الذي أحسّت معه بالخلاص. كان وجهها شاحبًا ومستاءة للغاية، رأتها المعلمة راوية وسألتها عن الحصة فأومأت برأسها، فقالت راوية:إذًا لم تشتك أيّ من الطالبات ".

لحظة الانفجار

في أحد أيام الشتاء الماطرة، دخلت لمى غرفة الصف الباردة جدًا وسلّمت على طالباتها البالغ عددهن ثلاث وأربعين طالبة، كتبت عنوان الدرس على السبورة، وبدأت تحاضر عن الفعل الماضي البسيط، وتكتب أمثلة على السبورة.

وفجأة سمعت صوت الطالبة ديما يناديها: "معلمتي، هل تعتقدين أن الطالبات يحببن هذه الحصة هكذا، أو يفهمن منها شيئًا؟"

صعقت لمى ولم تدرِ ماذا تفعل وبماذا ترد!

هل عليها أن تقول لها عن التزاماتها الماديّة التي جعلت من الصعب عليها أن توفر مصادر التعلم؟ وهل تخبرها بموقف إدارة المدرسة المقاوم لأي أسلوب غير تقليدي في التعليم؟ أم هل عليها أن تخبرها بما قالته زميلتها راوية؟ هل يحقّ لها أن تخبرها عن عدم تمكن الإدارة من تزويد المدرسة باحتياجاتها؟ هل عليها أن تناقش المشكلة مع طالباتها؟ أخذت تنظر في أعين الطالبات وقالت لديما: "غادري الصف طالما أنك لا تتعلمين شيئًا هنا". في هذه اللحظة غادرت ديما الصف ولحقتها الطالبات واحدة تلو الأخرى.

قُرع الجرس وبقيت طالبة واحدة في الصف، قالت للمى: "معلمتي، نحن بشر، ولسنا آلات نسخ ولا آلات تسجيل، ولا أعتقد أنّ ثمة شيئًا يقال بعد ذلك".

جمعت لمى كتبها، وغادرت الصفّ بكمٍّ من الأسئلة ودولاب من الحيرة، وصراع من الأفكار يضعها على مفترق صعب لا تجد فيه دليلًا، فأيّ سبيل تسلك؟!

أسئلة تأملية

- ما التوتر الحقيقي في هذه الحالة؟
- كيف يمكنك أن تساعد لمى على التعامل في مشكلتها مع المديرة وزميلاتها وطالباتها؟
- لو كنت مكان لمى ما خطوتك اللاحقة؟

ناجح علوم... راسب عربي!

في منطقة مكتظة وسط العاصمة عمان تقع مدرسة "العلا"، وهي مدرسة أساسية يعمل فيها (٣١) معلمًا من تخصصات مختلفة، يدرّسون (٢٤) شعبة صفوفها من الصف الرابع إلى الصف العاشر، ويبلغ عدد طلبتها (٦٥٠) طالبًا، ينحدرون من بيئات متوسطة الحال، ومتماثلة في ظروفها.

يعمل معظم أولياء أمور الطلبة في مهن صناعية أو وظائف محدودة الدخل، ويتوقّعون من أبنائهم الذكور إنهاء الصفّ العاشر، كي يسيروا على خطاهم ويلتحقوا بمهنة تؤهلهم للانخراط في سوق العمل. وما يُلاحظ في مدرسة "العلا" أنّ أكثر من (٣٠٪) من طلبة المدرسة لا يجيدون مهارات القراءة والكتابة بالشكل المطلوب. ومع ذلك إلا أن النظام التعليمي في الأردن يسمح الرسوب مرة واحدة في الصف. ومرتين فقط في المرحلة الأساسية.

المعلم خالد

تبعًا لهذه الظروف وجد الشاب العشريني خالد نفسه مقبلًا على تدريس مادة العلوم للصف الرابع بحب واستمتاع، وساعيًا بشكل حثيث لجعل طلبته مستمتعين أيضًا ضمن جوّ محفز لاكتساب العلوم والمعارف، ومتمكّنين في الوقت نفسه من المهارات المتضمَّنة في المنهج والمفاهيم الواردة فيه.

ولكي يتعّرف مستوى طلبته، صمم خالدٌ امتحانًا تقييميًا طرح فيه على طلبته أسئلة تتطلب إجابات من النوع المقالي، بحيث يحتاج الطالب إلى كتابة فقرة واضحة المعنى والصياغة.

وعندما بدأ المعلم خالد يصحّح إجابات طلبته ألفى نفسه أمام صدمة هائلة؛ فكثير من طلبته –(١٩) طالبًا– اكتفوا بكتابة أسمائهم بحجم كبير فقط، مما جعله في حيرة كبيرة دفعته لتأمل عميق حول مستوى مهارات الكتابة باللغة العربية لدى طلبته، بدلًا من الاهتمام بالمضمون المعرفي لإجاباتهم وتقييم معرفتهم العلمية، والتي لها صلة وثيقة بمتعة تعلم العلوم التي يسعى تحقيقها في غرفة الصف، كما شملت حيرته أيضًا كتاباتهم الركيكة وغير المتناسقة وذات الترابط الفكري المحدود، إضافة إلى امتلائها بالأخطاء النحوية والإملائية الأساسية.

تأمل المعلم خالد طويلًا في نتائج طلبته، والعوامل التي قد تكون أدت إلى هذا الضعف في مهارات اللغة، فهل هي ظروف أسرهم الاقتصاديّة؟ هل هي طرائق التدريس التي يتعرضون لها؟ أم أساليب التقييم التي تفرز نتائجهم؟ أم النظام الإداري في المدرسة؟ أم تعليمات الرسوب والنجاح؟

الطالب وسيم

"وسيم" طالب في الصف الرابع عمره عشر سنوات، من أكثر الطلاب نشاطًا في درس العلوم والمختبر، نحيف الجسم، عيناه لامعتان، يعيش مع أمه بعد انفصالها عن والده، لكن هذه الظروف لم تحُلْ من امتلاكه ذهنًا صافيًا وإبداعيًا في مادة العلوم، ورغبة كبيرة في تعلمها واكتشاف أسرارها.

نادى المعلم خالد الطالب وسيم للتحدث معه،فانطلق وسيم في الكلام دون تردد؛ ربما

كان بحاجة لهذه الفرصة كي يبوح بما في قلبه، فالمعلم خالد يجلس مصغيًا باهتمام، الأمر الذي منح الطالب وسيم جرأة أكثر في الكلام دون تردد.

> قال وسيم: "أعيش مع أمي بعد انفصالها عن أبي، وهذا الانفصال دفع أمي للعمل كي تؤمّن مصدر عيش يحفظ كرامة عائلتنا المكونة من أربعة أطفال وأنا أكبرهم، فأبي قليل التردد علينا والسؤال عنا، ولا يلبي احتياجاتنا اليومية مهما كانت بسيطة، ومع انشغال أمي وغياب أبي لم أجد من يهتم بدراستي".
>
> وتابع: "لم أتقن القراءة والكتابة منذ التحاقي بالمدرسة، ولا أدري كيف أتغلب على ذلك، إلا أنني أحب الرياضيات والعلوم ولا أجد صعوبة في فهمهما، وهذا هو حال كثير من زملائي في الصف".

هل أقيّم العلوم أم مهارات اللغة؟

كان سماع المعلم خالد لكلام وسيم بداية الحل، وحينها قرّر أن يتحمّل مسؤوليته في محاولة إيجاد حلّ يتغلب به على التعثر الكتابي لطلبته، ووقْفِ تأثيره في علامة العلوم.

> فكّر المعلم خالد مليًا في أهداف تدريس العلوم وحجم الاهتمام باللغة في صفوفه وحاول الموازنة بين دوره في الموضوعين الدراسيين كليهما، وقال في نفسه : "أنا أدرّس مادة العلوم، ومن المهم أن يركز تقييمي للطلبة على قياس مدى استيعابهم لمفاهيم العلوم ومهاراته وإتقانهم لها، وليس من أدواري أن أقيّم الطالب في لغته من حيث الكتابة والقراءة؛ فهذه مهمة معلم اللغة العربية؛ لذا يجب ألّا تتأثر علامة العلوم بضعف قدرات الطلبة في التعبير الكتابي".

بدأ المعلم خالد بحثه عن الأساليب البديلة للامتحانات الكتابيةّ، فوجد أدلة على نجاح الاختبارات الشفوية والعملية في الكشف عن فهم طلبته، وقرر استخدامها لتقويم تعلّمهم. بدأ تنفيذ خطته لتقييمهم، فصمّم أداة تقييميّة للمهمات العملية، وسُلّم تقدير للاختبار الشفوي، وقيّم طلبته وِفقهما، فالطالب يؤدي مهمة عملية في المختبر أو الصف، ثم يتعرض لمجموعة أسئلة بهدف التأكد من فهمه لما قام به، وقياس المحتوى المعرفي الذي اكتسبه بعد شرح الدرس.

عندما رصد خالد النتائج كانت المفاجأة كبيرة، فقد كانت النتائج مرتفعة ومختلفة تمامًا عن نتائج الاختبار الكتابي، فوصلت نسبة النجاح في المهمة العملية إلى (١٠٠ ٪)، بينما وصلت في الاختبار الشفوي (٨٠٪).

لأول مرة

كان وسيم مُتحمسًا، ولا يُمكنه انتظار قرع الجرس؛ ليتمكن من العودة للمنزل، وإخبار

والدته بنتيجة اختبار العلوم. فهذه المرة الأولى التي يحصل فيها على علامة عالية في أي مادة.

بمجرد أن فتح الباب، ركض إلى والدته ليخبرها بسعادة أنّه حصل على علامة كاملة في اختبار العلوم.

في البداية، كانت والدته مترددة في تصديق ما سمعته للتو وتساءلت عما إذا كان يمزح أو أنه قام باختلاق الأمر.

أجاب وسيم: "لا أمي، أنا لا أقوم بأي شيء هنا، لقد حصلت على علامة كاملة في العلوم، وهذه هي الحقيقة "

ردّت الأم: "علامة كاملة في العلوم ! لا يُمكنني تصديق ذلك، أرني ورقة الاختبار". عندها تغير وجه وسيم، وقال: " ليس لدي ورقة؛ لأنّ الاختبار كان عمليًا وشفويًا فقط،اسألي معلمي".

أجابت والدته والتي ما زالت غير مصدّقة له: "حسنًا، سنرى ذلك صباح الغد، سأتصل بالمدرسة..."

في الصباح اتصلت الأمّ بالمدرسة فحُوِّلت إلى المعلم خالد للاستفسار سألت الأم: "أخبرني ابني وسيم أنّه حصل على علامة كاملة في اختبار العلوم؛ فهل ما قاله صحيح ؟"

المعلم خالد: "وسيم طالب ذكي، نعم ...نعم ... لقد استحقّ علامة كاملة ".

ردّت الأم: "ولكن كيف يُمكنه فعل ذلك وهو لا يقرأ أو يكتب؟"

أجاب خالد: "لقد وجدتُ أدلة على نجاحه باستخدام الاختبارات الشفوية والعملية التي كشفت عن فهمه، هذه هي الطريقة التي قيّمتُ بها تعلم طلابي ووجدتها المثلى، فنتائج هذه الاختبارات أشارت إلى أن طُلابي جميعهم في صف وسيم نجحوا في المهمة المخبرية و(٨٠٪) في الاختبار الشفوي".

الأمّ: "ما فائدة ذلك عندما يفشل في اختبار اللغة العربية؟ إن كُنت تُريد مساعدته فعلّمه القراءة والكتابة، العلوم ليست مُهمة لمستقبله".

شعر المعلم خالد بخيبة أمل؛ لما سمعه من والدة وسيم وقال بصبر: "أنا أدرّس مادة العلوم، وسأقيّم تحصيل طلبتي في مفاهيم هذه المادة ومهاراتها، لكني سأناقش هذه الحالة مع مدرّس اللغة العربية".

في غرفة المدير

فرح خالد بإنجازه، وتوجه إلى غرفة مدير المدرسة كي يعتمدها وتوقّع أن يُسرّ المدير؛ لأنّه راعى حاجات الطلبة.

استهجن المدير عصام ما قام به المعلم خالد وتساءل مستنكرًا: "كيف لطالب راسب في اللغتين العربية والإنجليزية، وحاصل على درجات متدنية في بقية المواد أن ينجح في مادة العلوم؟ كيف تسمح لنفسك يا أستاذ أن تغير طبيعة التقويم الذي أقرته التعليمات الصادرة عن الوزارة؟ كيف ينجح طالب لا يجيد القراءة والكتابة باللغة العربية في مادة العلوم؟"

وتابع بحدّية واضحة: "سأضطر آسفًا أن أوجّه لك استجوابًا خطيًا، وقد يصل الأمر أن يُوجَّه لك إنذار أو تنبيه، وسأبحث الأمر مع المشرف التربوي لمادة العلوم. وريثما يتمّ هذا الأمر سألغي هذه العلامات ولن أعتمدها؛ فأنا لا أملك أيّ مبررات مقنعة أقولها للجنة المديرية المُشكّلة لاعتماد نتائج اختبارات الطلبة".

ألغى المدير علامات الطلبة التي قدّمها المعلم خالد؛ ومن ضمنها علامة وسيم التي كان فرحه بتحصيلها لا يوصف.

قال المدير عصام ما قاله والمعلم خالد واقف أمامه لم يتكلم، حتى إذا ما انتهى من كلامه أجاب المعلم خالد بكل ثقة: " لن أغير نتائج الطلبة، فهذا مستواهم الحقيقي في المادة، ولن أدع ضعفهم في المواد الأخرى يحرمهم من الإبداع في مادة العلوم. "

أجاب مدير المدرسة: "إذن لندع الأمر لمشرف مادة العلوم في المديرية، فهو من سيقرّر ذلك".

بعد مخاطبات رسمية لم تستغرق وقتًا طويلًا حضر مشرف العلوم "خليل" إلى المدرسة؛ كي يجتمع بالمدير والمعلم خالد، وما إن اجتمعوا حتى بادرالمشرف موجّهًا كلامه للمعلم خالد: " يا بني، أنتَ معلم جديد، وليس لديك خبرة في التعليمات، ولا أجد ما يبرّر إلغاء الامتحان الكتابيّ، ولن أوافق على ذلك".

وتابع: "كيف يمكن أن يكون ذلك في صالح الطلبة وهم سيخضعون لامتحانات كتابيّة في نهاية العام؟"

بخيبة أمل غائرة في أعماقه حاول خالد الإصرار على موقفه قائلًا: "أعتقد أنني أعرف طلبتي، واحتياجاتهم، وأعرف كذلك الطرق المناسبة لتقييمهم أكثر من أي شخص آخر"

تبعًا لذلك، فشلت كل المحاولات لإقناع خالد بالتخلي عن نهجه.

القرار الصعب

أمام هذا المشهد غير المألوف لمعلمي المدرسة انقسم المعلمون إلى فريقين متباينين: فريق يتبنى وجهة نظر المعلم خالد، وفريق يتبنى وجهة نظر المدير والمشرف، وكلاهما يدافع عن وجهته بمبرّرات تستند مرة إلى خبراتهم ومرة أخرى إلى دراساتهم ومعارفهم التربوية.

الطريق الرسمي هو الطريق الذي قرر المدير سلوكه أمام إصرار المعلم خالد على اعتماد نتائجه، وما تنص عليه تعليمات الامتحانات؛ فكتب المدير كتابًا رسميًا يذكر فيه تفاصيل القضية من الجوانب كلها، وعندما انتهى من كتابته لم يستطع إرساله إلى المديرية؛ فقد بدأت ملاحظات الأهالي المساندة لموقف المعلم خالد تصل إليه، وإعجابهم بطريقة التقييم التي اتبعها باتت تجد قبولًا لدى فئة ليست قليلة من المعلمين، فضلًا عن رغبة الطلبة المتميزين في المدرسة باتباعها، وعلى الجهة المقابلة هناك إصرار كبير يبديه المعلم خالد في اعتماد نتائجه والدفاع عنها. فكيف يمكن أن يسمح بتعريض معلم للمساءلة، في الوقت الذي يبذل فيه المعلم جهدًا في عمله، ويحاول تطوير أدواته وابتكار أساليب تدريس وتقويم تلائم حاجات طلبته؟

ولكن الأمر لا يتعلق فقط بما يشعر به الناس حيال ذلك أو مقدار الدعم الذي يمكن أن يتلقاه الفرد، بل ثمة مشكلة تنظيمية أكد عليها المشرف الذي أصر على ضرورة تقييم أداء الطلاب كتابيًا وفقًا للوائح.

هذه الملابسات جعلت مدير المدرسة يتوقف قليلًا؛ ليقدّر موقفه ويوازنه، لقد كان ينظر إلى الأمر بمنظورين كوالد ينظر فيما ينفع أبناءه، وكمسؤول عن مدرسة تحكمها قواعد وإجراءات ولوائح.

أسئلة تأملية

- هل تتفق مع التقييم الشفوي والعملي في الاختبارات النهائية؟
- ما الذي ستقوم به لو كنت مكان المعلم خالد؟
- ما جوانب التعلم التي ينبغي على المعلم خالد منحها الأولوية ليكون الطلبة جميعهم قادرين على التعلم؟
- كيف يمكن أن تساعد المدير في التعامل مع هذا الموقف؟

نحن لسنا بحاجتك

أثناء الجولة الصباحية لمديرة المدرسة "أميرة" والمرشدة التربوية "أمل"، شاهدتا معلمة اللغة الإنجليزية للمرحلة الثانوية "سارة" وهي تخرج مسرعة من صفها. بادرت المرشدة التربوية أمل بالسؤال: "ما المشكلة سارة؟ لماذا تتركين الصف ولم ينته وقت الحصة بعد ؟"

أجابتها سارة بصوت غاضب: "إنّهن لا يردننني!" ثم أخذت نفسًا عميقًا وأكملت: "لقد استخدمت الطرق الممكنة كلّها؛ لأستدعي انتباههن، ولكنني لم أنجح، أشعر أنني أفقد السيطرة على الصف!"

تبادلت أمل وأميرة نظرات القلق. ثم سألت المديرة أميرة وعلامات الدهشة على محيّاها: "ماذا تعنين بأنهن لا يردنك؟ أنتِ أفضل معلمات اللغة الإنجليزية اللواتي قابلتهن، ما المشكلة؟"

التفتت المعلمة سارة إلى المديرة أميرة والمرشدة أمل ، وأجابت بلهجة حادة: "إنّها الدروس الخصوصية!"

رياح التغيير في مدرسة العهد الثانوية

مدرسة العهد الثانوية مدرسة إناث تقع في إحدى أكبر المدن الأردنية، في حي شعبي معظم سكانه من الطبقة الوسطى. منذ وصولها قبل عامين كرّست المديرة " أميرة" نفسها لجعل المدرسة أكثر تنظيمًا وتنسيقًا، وهي تعلم أنها تستطيع ذلك.

شكّلت المدرسة التي تحوي (٧٨٠) طالبة و(٤٥) معلمة تحديًا كبيرًا لمديرة المدرسة " أميرة" التي سعت إلى النهوض بالعملية التعليمية الى أعلى المستويات مع محدودية إمكانات المدرسة. وعلى الرغم من التحديات الكبيرة فقد كان لدى أميرة ثقة تامة بالكنز الحقيقي في المدرسة ألا وهو الهيئة التدريسية؛ فالمعلمات في مدرستها مُدرّبات بشكل جيد ومؤهّلات؛ نظرًا لتلقيهنّ تدريبًا مكثفًا حول كيفية تحسين التعلّم والتعليم ضمن الموارد المتاحة. كانت المديرة أميرة حريصة على استثمار مهارات معلماتها في تطوير مدرستها، وتحفيز طالباتها على التعلم، والاستفادة من فرص تعلّمهن المتاحة لأقصى حدّ؛ لذا كانت تشجعهن على الالتحاق بالبرامج التدريبية الداعمة والتي تكسبهن التحسن باستمرار.

كان مجال تركيز المديرة وفريقها ينصبّ على ضمان نجاح الطالبات في اختبار الثانوية العامة (التوجيهي)، وهو اختبار وطنيّ موحّد يترقّبه الجميع في الأردن، إذ يتقدّم له الطلبة في السنة الدراسية الأخيرة " الصف الثاني عشر".

يعدّ (التوجيهي) محطّ اهتمام المعنيين كافة في النظام التعليمي؛ فهو يؤثّر في مسارات الطلبة التعليمية والحياتية كلّها، وإلى حدٍّ ما في مكانة المدرسة وسمعتها ضمن النظام التعليمي أيضًا. تبدأ تحضيرات الثانوية العامة (التوجيهي) منذ الصف الحادي عشر؛ إذ يختار الطلبة أحد المسارات التعليمية الثلاثة: الفرع العلمي، والفرع الأدبي، والفرع المهني. أما مدرسة العهد فهي تحوي الفرعين: العلمي والأدبي. بالنسبة لمعلمات المدرسة يعدّ الفرع الأدبي مصدرًا للإجهاد؛ فأولياء الأمور يشكون من نتائج بناتهم. والجدل محتدم بين

المرشدة التربوية ومعلمة اللغة الإنجليزية. وعلى ما يبدو أنّ هذه القضية قد استنزفت المدرسة بأكملها.

قلق أولياء الأمور

المعركة بدأت مع بداية العام الدراسي خلال الاجتماع الأول لأولياء أمور الصف الثاني ثانوي أدبي مع المرشدة، حيث اشتكت "أم الطالبة نور" من انزعاج ابنتها من معلمة اللغة الإنجليزية "سارة"، تقول: "إنها عصبية المزاج وتصرخ دائمًا". وتابعت والدة نور: "إنّ هذا السلوك كان محبطًا للطالبات، ويزيد من قلق ابنتها". كانت نور طالبة جيدة ولكنها سريعة التشتت، ووالدتها تخشى أن هذه البيئة المجهدة قد تلحق الضرر بنتائج ابنتها في اختبارات التوجيهي.

سرعان ما أصبح واضحًا أن معظم الأمهات يتشاركن القلق نفسه، وطالبن بحل. حاولت مرشدة المدرسة أمل، الحاضرة في الاجتماع، تخفيف الموقف من خلال وعدها بإبلاغ المديرة أميرة بالمشكلة، وفضلًا عن ذلك، حاولت أمل إقناع الأمهات بأنّها مسألة بسيطة وقالت: " سارة معلمة ماهرة، ولا بدّ من وجود سوء فهم".

في صباح يوم الثلاثاء التقت المرشدة أمل بالمديرة أميرة؛ لإبلاغها عن مجريات اجتماع أولياء الأمور. وعلى الرغم مما حدث، وضّحت المرشدة أمل أن غضب أولياء الأمور طبيعي بالنظر إلى الضغط المتزايد على الطلبة حول أدائهم في اختبار التوجيهي والذي يحدّد مستقبلهم.

وافقت المديرة رأي أولياء الأمور في أن هذه الاختبارات تشكّل ضغطًا على المدرسة جميعها، وأضافت أنّه يجب البحث في تفاصيل الموضوع بدقة، وقالت: "تعلم جميعًا مدى كفاية وخبرة المعلمة سارة؛ لذلك نحن بحاجة إلى سماع وجهة نظرها لفهم ما يحدث".

صمتت المديرة قليلًا، وأعادت النظر في الموقف كاملًا والمخاطر المحيطة به، وقالت: "من الجيد دائمًا ضمان أنّ معدلات النجاح في امتحان الثانوية العامة مرضية أيضًا".

وقبل أن تكمل المديرة أميرة والمرشدة أمل حديثهما كانت المفاجأة بدخول موظف من قسم الرقابة في مديرية التربية والتعليم يحمل شكوى خطية بحق المعلمة سارة وكفايتها التعليمية.

رحبّت المديرة أميرة بالموظف، ووضحت له أنّ المعلمة سارة معلمة متميزة ومرنة وصبورة، ولديها خبرة تربوية تبلغ (١٠) سنوات في تدريس مبحث اللغة الإنجليزية لطالبات المرحلة الثانوية العامة، وأشارت إلى أنّ هذه المشكلة متعلقة بصف واحد من الصفوف التي تدرسها، وأنّها لم ترد خلال السنوات الخمس الماضية أي شكوى من هذا القبيل.

ردّ الموظف ونبرة القلق تخالجه: "شكرًا على المعلومات، مع ذلك فإنّنا نتوقع أن يتم التحقيق في هذه القضية بشكل دقيق، وغادر المكتب بهدوء".

مع تجدد الحاجة الملحة إلى معالجة الموقف، عقدت المديرة أميرة اجتماعًا فوريًا لدراسة الموقف بأكمله.

جلست المعلمة سارة مقابل كل من المديرةأميرة والمرشدة التربويّة أمل في مكتب الإدارة، وبدأت بالشرح: "إن هذا الصف يحوي مجموعة من الطالبات المشاغبات اللواتي يتعمدن عرقلة الحصة، ويزعجن الأخريات، ومع تزايد عدد الطالبات اللواتي يأخذن الدروس الخصوصية، فإنّني قد فقدت السيطرة والاحترام في الصف. كيف أنهي خطة الدرس اليومية إذا لم أستطع إنهاء جملة واحدة في الحصة؟"

وبعيون تملؤها الدموع، أنكرت سارة قول أيّ كلمة قد تكون مؤلمة أو مثبطة لطالباتها، وقالت: "لقد جرّبت عدّة طرق لإدارة الحصة، لقد أعطيت كل شيء لهن!"

خفت صوتها، وبعد ذلك، وبنبرة صوت عبّرت فيها عن أسابيع من الإحباط، وعدم الاحترام، واليأس، قالت معلمة اللغة الإنجليزية المخضرمة: "أنا بحاجة إلى حلّ".

تبادلت المرشدة أمل والمعلمة سارة نظرات تفاهم وإقرار بالوضع الحالي. فكلاهما تدركان أن ظاهرة الدروس الخصوصية قد انتشرت في الآونة الأخيرة على نطاق واسع، خاصة بين طلبة المدارس الثانوية الذين يعتقدون أن النجاح في التوجيهي يعتمد عليها، وقد أثّرت هذه الحالة على نظام التعليم بأكمله، حتى مع الطلبة المتفوقين الذين هم في العادة يحضرون الدروس الخصوصية.

سألت المديرة أميرة: "إذن، ما علاقة الدروس الخصوصية التي تحدث خارج أوقات الدوام في إدارة الحصة وسلوك الطالبات؟!"

أجابت المعلمة سارة: "تظنّ بعض الطالبات أن شرح المعلم الخاص يكفي، وأن ما أشرحه في الحصة قد يؤثر في فهمهن ويربكهن؛ ونتيجة لذلك يتصرّفن بشكل يشتّت الطالبات الأخريات ويربكهن".

هنا تدخلت المرشدة أمل قائلة: "إنّ هذا الصف مزعج، ويجب أن نتوجه للحديث معه لوقف هذه السلوكات".

عند هذه اللحظة، وضّحت المرشدة أمل أنها تلقت مجموعة شكاوى حول سلوكات هذا الصف المزعجة، وأضافت أنّه يجب توجيه تحذير صارم للصف لتحسين سلوكاتهم، وقالت: "لا بدّ أن نكون حازمين؛ إنّهنّ بحاجة إلى توجيه إنذار صارم؛ نتيجة لتصرفاتهن التي تنمّ عن قلة الاحترام".

تعجبت المديرة أميرة: "لقد وجّهنا بالفعل ثلاثة إنذارات لثلاث طالبات، صحيح؟! هل أجدى ذلك نفعًا؟"

أجابت المرشدة أمل: "لم يتغير من الأمر شيء؛ لأنّ الطالبات على ثقة تامة أنهنّ لن يُطردن من المدرسة؛ لسبب من هذا القبيل، وفي عامهن الأخير أيضًا".

توقّف الحديث قليلًا، وسكتت المرشدة أمل بضع ثوانٍ قبل أن تكمل، ونبرة الحزن تغالب صوتها: "الدروس الخصوصية غيرت نظرة العديد من الأسر لقيمة المدرسة، ومنعت الطالبات الأخريات من تلقي التعليم المستحق".

لمعت عينا المعلمة سارة: "فعلًا. لدينا بعض الطالبات اللواتي يعتقدن أنّهن يعرفن كل شيء، وهذا يجعل من الصعب على الأخريات تعلم أيّ شيء!"

وجهة نظر الطالبات

توجهت المديرة أميرة والمرشدة أمل إلى الصف الثاني الثانوي الأدبي؛ للاستماع إلى الطالبات أنفسهن، ويبدو أن جميع المعلومات تدعم ما سمعنه من قبل.

بدأت الطالبة الأولى تشكو أن المعلمة سارة تبدو قلقة دائمًا. أضافت طالبة أخرى: "أنا لا أريد أن أشوّش أفكاري، أفهم جيدًا من معلمي الخاص، والمعلمة سارة تستخدم طريقة مغايرة له تمامًا!"

بعد برهة قصيرة تداخلت أصوات الطلبات معلقة: صحيح، أنا أفهم من مدرسي الخاص ولست بحاجة إلى معلم آخر".

"المعلمة سارة تبدو غاضبة دائمًا؛ مما يجعل من الصعب فهم الدرس".

بعد الاستماع للطالبات، حاولت المديرة أميرة جعلهن يفهمن الصورة الكاملة بقولها: "لا تحصل الطالبات جميعهن على دروس خصوصية، لا بدّ أن ندعم تعلّم بعضنا بعضًا في الصف؛ حتى تحصلن جميعكن على علامات مرتفعة في الثانوية العامة".

همست إحدى الطالبات في الخلف: "حسنًا، نحن لا نريد أن تحصل الطالبات جميعهن على علامات مرتفعة". ثم تعالت الأصوات من كل زاوية في الصف تردّد العبارة نفسها. وطلبت المرشدة أمل من الطالبات التزام الهدوء، ثم وضّحت بصبر وأناة: "كل طالبة منكنّ لها الحق في أن تدرس في بيئة آمنة، ومَن لا تريد أن تتعلم في الصف لتضع رأسها على الدرج، وتدع الأخريات يتعلمن".

انتهى الحوار عند هذه النقطة. غادرت المديرة أميرة الصف وبصحبتها المرشدة أمل، وهي واثقة أنّ الموضوع بسيط، ولا يحتاج إلى كلّ تلك الضجة .

لأولياء الأمور الحق في الاعتراض

في اليوم التالي، دخلت "نادية" معلمة العلوم مربية الصف الثاني الثانوي الأدبي إلى مكتب مديرة المدرسة؛ لنقل شكوى وصلتها من أولياء الأمور حول المعلمة سارة . إذ إنّ نادية تسكن بالقرب من المدرسة وتربطها بالأهالي معرفة وطيدة

قالت نادية : "يصرّ الأهالي على أنّ المعلمة سارة تبدو قلقة للغاية داخل الغرفة الصفية، ولا شيء خاطئ في تصرفات بناتهم... ويبدو أنّ المعلمة سارة هي التي تحتاج إلى تغيير مواقفها تجاههم."

ردت المديرة أميرة: "لست متأكدة إذا كان هذا كله خطأ يقع على عاتق سارة فقط. لقد حضرت كثيرًا من حصصها، ولم تكن هناك مشاكل مع أي صف آخر إلا هذا الصف".

علّقت نادية: " في الصفوف جميعها مجموعة من الطالبات المشاغبات اللواتي لا يتصرفن بلباقة ، وجزء أساسيّ من مهام المعلمة التعامل مع هذه الفئة، وحصصها ليست بمنأى عن هذا الأمر"

وبعد هذه النقاشات والمداولات خلال الأيام القليلة الماضية، أعادت المديرة تأكيدها أنّ نادية المعلمة سارة معلمة مؤهلة جيدًا ومخلصة. ومع ذلك فإن استمرار هذه المشكلة يعدّ أمرًا مقلقًا.

ارفعن رؤوسكن!

إنّها الحصة الثالثة، وكل معلمة منشغلة في تدريس صفها. كانت المديرة أميرة تتجول في أروقة مدرستها، ووصلت الطابق الأرضي؛ لتتفقد صفوف الثانوية العامة، وإذ بها تسمع صوت المعلمة سارة وهي تشكو غاضبةً إلى المرشدة أمل: "انظري..! إنّهن نائمات! كأنهن يطلبن مني مغادرة الصف".

على الفور، طلبت المديرة أميرة من المعلمة سارة والمرشدة أمل انتظارها في مكتبها حتّى تدبّر معلمة بديلة تحل محل المعلمة سارة في الصف. جلسن معًا، وطلبت المديرة أميرة إلى المعلمة سارة أن تهدأ، وقدمت لها كأسًا من الماء. قالت المعلمة سارة بانزعاج: "أشعر أنّ الجميع ضدي! لا أحظى باحترام من الطالبات أو أهاليهن، والآن سمعت أنّ معلمة العلوم نادية تساند طالباتها وأولياء الأمور قائلة: إنّني المشكلة وليست الدروس الخصوصية!"

احتارت المديرة أميرة وصمتت للحظة، ومن ثم سألت: "لماذا لا نواجه هذه المشكلة مع ليلى معلمة الرياضيات؟"

أجابت المعلمة سارة: "لا أعرف. قد لا تكترث ليلى بما تفعله طالباتها في الصف، وقد تعتمد أسلوب المحاضرة".

في هذه اللحظة أحسّت المديرة أميرة بثقل المشكلة، ولم تعرف ماذا ستفعل. شعرت بأنّها في مأزق حقيقي يرتبط بكثير من العوامل والشخوص؛ فلم تعد مشكلة بسيطة يمكن حلها بإجراء روتيني اعتادت عليه يوميًا، وقفت حائرةً أمام هذا التحدي الكبير، تارة تفكّر بمصير طالباتها في امتحان الثانوية العامة وقلق أهاليهن وتوترهن، وتارة بسمعة المدرسة إذا انخفضت نتائج الطالبات في الثانوية العامة، وتارة بالطالبات اللواتي قلدّن زميلاتهن بالنوم والتراخي دون وعي أو تفكير، وهو الأمر الذي أشعر المديرة أميرة بالذنب؛ لأنّها قد تكون لمّحت للطالبات القيام بذلك.

كيف يمكن للمديرة أميرة أن تتصدى لمقاومة الطالبات لمعلمتهن سارة، وتوفير التعليم للطالبات اللواتي يرغبن بالتعليم في المدرسة؟ علاوة على ذلك، كيف يمكنها التوفيق بين رؤية المدرسة في تحسين البيئة التعليمية وآراء المعلمات في أدوارهن في المدرسة وثقافة المجتمع في هذه البيئة المتغيرة؟

وضعت سارة الكأس على الطاولة. وبقلوب مثقلة، غرقت التربويات بالتأمل في الموقف وعواقبه.

؟ أسئلة تأملية

- ما الخطوات المحتملة التي يمكن أن تتخذها المعلمة سارة والمرشدة في الأيام القليلة المقبلة؟
- لو كنت مكان مديرة المدرسة، هل كنت ستعالج القضية بشكل مختلف؟ كيف؟ ما الخطوات التي يمكنك اتخاذها للمستقبل؟
- فكّر في الاقتباس الآتي: "لدينا بعض الطلبة الذين يعتقدون أنهّم يعرفون كل شيء، ويجعل من الصعب على الآخرين حتى تعلم أي شيء!" هل واجهت هذا الشعور من قبل؟ كيف تعاملت معه؟
- كيف يمكن للمعلمين التخفيف من الآثار السلبية المحتملة التي قد تحدثها الاختبارات الموحدة في ثقافة المدرسة؟

من أين أبدأ؟

"أمل" مديرة مدرسة الأمل الجديدة، و يبلغ عدد طلبتها حوالي (٧٠) طالبًا وطالبة، من الروضة حتى الصف السادس.

معظم معلمات المدرسة حديثات العمل في مهنة التعليم، ولم يتلقين تدريبًا وإعدادًا كافيًا، وكثير منهن يطلبن النقل إلى المناطق المجاورة في أول فرصة مُتاحة لذلك. وعلى الرغم من وجود مجموعة من المعلمات الجدد في كل عام دراسي إلا أنّه كانت لديهن الرغبة في التطور وتحسين الأداء؛ مما جعل أمل تشعر بالتفاؤل والرغبة في تطوير خطة تعتقد أنها ستقلب حال المدرسة إلى الأفضل.

أمل معلمة فيزياء متميزة، حصلت منذ فترة على شهادة دبلوم مهني في الإدارة المدرسية، وأصبحت حديثًا مديرة مدرسة الجبل بعد اجتيازها عددًا من الامتحانات والمقابلات. لقد التحقت بالعديد من مساقات التعلّم الإلكتروني؛ بهدف التنمية المهنية. وقرأت كتبًا عديدة في الإدارة التعليمية. وقد تجلّت تلك المعارف والخبرات باستمرار في كثير من المبادرات والمشاريع التي حاولت من خلالها تحسين أداء المعلمين؛ لتحسين تعلم الطلبة ودعمهم.

في العام الماضي، تطرقت لمشكلة رئيسة تؤثر في تعلّم طلبة المدرسة، وهي نوع التعلّم الذي يقدّم للطلبة عن طريق التدريس المباشر، ومن أجل مواجهة هذه المشكلة شجعت المعلمة أمل زميلاتها على اصطحاب الطلبة إلى المزارع المجاورة للمدرسة؛ وذلك للحصول على تجارب تعليميّة أكثر عمقًا وواقعيةً، وكذلك في العام الذي سبقه بدأت بمبادرة لتعريف المعلمات بمصادر التنمية المهنية عبر مساقات التعلم الإلكترونيّ، والمرتبطة بتحسين التدريس، حيثُ تحتوي على استراتيجيات التدريس المتعددة والجديدة، والتي وجدتها أمل مفيدة جدًا، وطبّقتها عندما كانت معلمة، وحثت زميلاتها على التسجيل في التدريبات عبر الإنترنت ونقل أثرها إلى الغرف الصفية.

وبالرغم من ذلك، كان هناك تدنٍّ في تحصيل طلبة الصف السادس خلال السنوات الثلاث الماضية، مع تحسن طفيف في تحصيل بعض طلبة ذلك الصف في مهارات اللغة، والرياضيات والعلوم. وبالرغم من أنّ النتائج لم تكن مشجعة، إلا أنّ المديرة أمل كانت تأمل في استحداث مبادرات جديدة من شأنها أن تحسّن من تحصيل الطلبة جميعهم.

مكالمة هاتفية

في أحد الأيام بينما كانت المديرة أمل تجلس في غرفة الإدارة، لتؤدي بعض الأعمال الكتابيّة سمعت صوتًا عاليًا من الغرفة المقابلة لها، وهي غرفة الصف السادس. شعرت المعلمة أمل بالتوتر ثم هرولت مسرعة لتعرف ما حدث؟

> فتحت الباب وقالت: "ما الذي يحدث؟"
>
> وقفت لبنى (معلمة العلوم) في مقدمة الصف: "جيد، أستاذة أمل، أنتِ هنا. هذه المرة، أقنع محمود الجميع بعدم حلّ الواجب البيتيّ، والآن لا يمكنني أن أطبق خطة درس اليوم؛ لأنّها مبنية على حل ذلك الواجب".

تأملت المديرة أمل في الغرفة الصفية، ونظرت إلى محمود، الذي كان يبذل قصارى جهده لتجنب نظراتها، وقالت: "محمود، هل يمكنني التحدث إليك خارجًا؟"

في الخارج، ظهرت على محمود علامات الخجل وبَدَا مرتبكًا، اعتذر بسرعة، وبالرغم من أنّ محمود لم ينسجم كثيرًا مع المعلمات، إلا أنّه كان يكنّ للمديرة احترامًا خاصًا .

تنهدّت المديرة قائلةً: "هل تعلم يا محمود، أنّه يجب عليّ الاتصال بوالدك هذه المرة، أليس كذلك؟"

وفي وقت لاحق من اليوم نفسه، اتصلت المديرة أمل بالسيد محمد، والد محمود. وشرحت له الموقف، ثمّ أتمت قائلةً: "وبصفتي من الأشخاص الذين يقدّرون قيمة التعليم وما نقوم به في هذه المدرسة، كنت آمل أن تتمكن من التحدث مع محمود حول أهمية قيامه وجميع الطلبة بمهامهم وواجباتهم".

قال والد محمود: "شكرًا على اتصالك بي اليوم. سأتحدث إلى محمود، لكنني ببساطة لا أتفق معك في هذا الأمر، أشعر أنّ مسؤوليتكم كمدرسة هي تحفيز الطلبة والتحقق من تعلمهم، الآن يجب أن أعود للعمل، مع السلامة".

كانت المديرة محبطة، لكنّها بدأت تفكّر في مشكلة تحفيز الطلبة وكيف يمكن العمل عليها.

من الممكن أن أكون صادقًا؟

في وقت لاحق من ذلك اليوم، قدّمت المديرة أمل دعوة لأولياء أمور طلبة الصف السادس؛ لحضور الاجتماع العاجل الذي سيعقد صباح الغد لمناقشة مشكلة سلوك الطلبة، وفي اليوم التالي حضر أولياء أمور طلبة الصف السادس جميعهم باستثناء والد محمود؛ فقد قدّم رسالة اعتذار عن الحضور صباحًا، وأشار إلى أنه سيحضر في وقت لاحق خلال اليوم.

رحبت المديرة أمل بأولياء الأمور ثم بدأت قائلة: "لقد دعوتكم لهذا الاجتماع؛ بهدف الحديث عن سلوكات أبنائكم وعن نتائجهم في التقويم الأول. هدفنا أن يتلقّى طلبتنا تعليمًا جيدًا ويحققوا نتائج مرتفعة، لذلك نحن بحاجة لمساعدتكم".

عمّ الهدوء الغرفة، ثم حطّمت والدة سليمان حاجز الصمت قائلةً: "شكرًا على دعوتنا لهذا الاجتماع، في الحقيقة المشكلة تكمن في عدم شعور أطفالنا بالحماس والرغبة في الذهاب للمدرسة".

وأكملت والدة عبد الله قائلة: "أعتقد أنّ السبب في ذلك الواجبات الكثيرة، والامتحانات الصعبة التي يتعرض لها أبناؤنا".

قالت والدة مريم بصوت مرتفع: "أخبرتني ابنتي أنّها تأتي للمدرسة؛ لترافق صديقاتها، لكنها لم تكن يومًا متحمسة للدراسة أو للتعلّم".

قالت والدة سحر: "ابنتي الآن في الصف الرابع، وما زالت غير قادرة على قراءة قصة قصيرة".

غمغم أولياء الأمور الآخرين متفقين مع ما قيل.

صُدمت المديرة أمل مما سمعته، لكنّها أظهرت حرصها على إيجاد طريقة لمعالجة هذا الوضع، واختتمت الاجتماع قائلة: "علينا جميعًا أن نتعاون لدعم تعلّم طلبتنا، شكرًا على ملاحظاتكم، وبالتأكيد سنأخذها بعين الاعتبار لنصل إلى حلول للتحسين، وما زلت أؤكد أن تعلم طلبتنا هو مسؤولية متبادلة بين المدرسة والمنزل، شكرًا لكم".

حضور الحصص

في ذلك اليوم، قررت المديرة أمل أن تزور الغرف الصفية جميعها في المدرسة؛ لتجمع الأدلة والمشاهدات حول التغذية الراجعة التي تلقتها من أولياء الأمور.

بدأت بزيارة المعلمة لبنى التي كانت تدرّس موضوع الكثافة للصف السادس.

طرحت المعلمة لبنى سؤالًا على الطلبة: "إذا سقط شخص لا يعرف السباحة في البحر الميّت فإنه يطفو بينما يغرق إذا سقط في بركة ماء عذب؟ لماذا؟"

أجاب عبد الله: "لأنّه مالح".

قالت المعلمة لبنى: "وبسبب الكثافة أيضًا يا عبد الله، وهذا هو موضوع الدرس؛ نحن نتحدّث عن الكثافة".

شعر عبد الله بإحراج كبير. انتبه محمود إلى ذلك وقال ساخرًا: "هل أنت متأكد أن الأجسام كلها تطفو في البحر الميت؟ حتى أنت؟"

وفي تلك اللحظة، سألت المديرة أمل المعلمة لبنى إن كان بالإمكان التحدث إليها خارج الغرفة الصفية.

بدأت لبنى الكلام باكيةً: "هل شاهدت ذلك؟ هل رأيت عدم الاحترام؟ لم أعد أتحمّل سلوك محمود بعد الآن".

قالت المديرة أمل: "أنا أتفهّم شعورك بالإحباط، ولكن ما يزال سلوك محمود تحت السيطرة، ما عليك الآن إلّا أن تكملي درسك بشكل طبيعي، ويمكننا التفكير في معالجة هذه المشكلة بعد الدرس".

أومأت المعلمة لبنى برأسها بالموافقة على مضض، ثم أعطتها المديرة أمل نظرة اطمئنان،

وغادرت باتجاه غرفة صفية أخرى، وقد دوّنت مشاهدة حول الانضباط في صف المعلمة لبنى.

الاجتماع مع والد محمود

وصل والد محمود بعد الظهر إلى المدرسة، ودخل مباشرةً إلى مكتب المديرة.

والد محمود: "مساء الخير، سيدة أمل".

ردت المديرة أمل: "مساء الخير، أشكرك على حضورك اليوم، لقد اجتمعت مع أولياء أمور طلبة الصف السادس صباح هذا اليوم، وتحدّث العديد منهم عن شعورهم بأنّ التقييمات وطرق التدريس تحدّ من رغبة الطلبة في القدوم إلى المدرسة والقدرة على التعلّم، وبالطبع سنأخذ هذه الملاحظات بعين الاعتبار، وقد أردت أيضًا تأكيد أنه من غير المقبول أن يقنع محمود زملاءه في الصف بعدم أداء واجباتهم المدرسية، لا يمكننا أن نسمح بحدوث ذلك".

ردّ والد محمود: "أتفهّم كلامك، وسأتحدث مع محمود حول التأثير السلبي على زملائه في الصف. لكن، هل لي أن أطرح سؤالًا؟"

أومأت المديرة أمل برأسها بالإيجاب.

"أنا أقدّر كل ما تفعلونه في هذه المدرسة، لكن لماذا يجب أن يذهب هؤلاء الأطفال إلى المدرسة كل يوم؟"

فقال والد محمود: "أعتذر عن صراحتي، لكنني محبط؛ بسبب عدم وجود نتائج مرضية من تعلم ابني محمود؛ فهو طفل ذكي لكن أداءه الأكاديمي لم يتحسن في السنوات الثلاث الماضية. وبالرغم من أنه يمضي ست ساعات يوميًا في المدرسة، لكن ماذا يتعلّم؟ أنا أتحدث معه بشكل مستمر عن أهمية ما يتعلمه، لكنه باستمرار يجيبني أنه لم يتعلم شيئًا مفيدًا. وإذا أردنا أن يصبح محمود وأقرانه مستقبلًا أفرادًا فاعلين في المجتمع يجب أن تساعدهم المدرسة على ذلك بالطرق المناسبة".

شكرت المديرة أمل والد محمود على صراحته، وأجابته كما أجابت بقية أولياء الأمور في الصباح: "شكرًا على ملاحظاتك، ونحن نبذل قصارى جهدنا لإيجاد حل".

رد والد محمود: "البحث عن حل؟ أنا أعلم أنّك وكادر المدرسة تعملون بجدّ، ولا أشكّك في ذلك، لكن مع كل الاحترام، لم أر نتيجة تذكر في تعلّم أبنائنا رغم كل تلك الجهود، فهل تعرفون سبب المشكلة؟".

شعرت المديرة أمل بالصدمة من كلام والد محمود، شكرته مرةً أخرى، وقالت له: "أرجو منك التحدث مع محمود حول تأثيره على زملائه في الصف".

غادر والد محمود غرفة المديرة، وتأملت دفتر ملاحظاتها قائلةً في نفسها: "بالفعل لقد رصدت العديد من الممارسات التي تُظهر فجوات ومشكلات في التدريس ،بالرغم من كل المبادرات وجهود الإصلاح التي قمنا بها سابقًا".

شعرت المديرة أمل كما لو أنّها تحاول إصلاح ثقوب سفينة غارقة، وتحاول يائسةً سدّ الثقوب التي استمرت في الظهور، كان هناك الكثير مما يجب عليها القيام به؛ لمساعدة طلبتها في الحصول على التعليم الذي يستحقونه، لكن من أين يجب أن تبدأ؟

أسئلة تأملية

- برأيك هل هناك فجوة بين ما نريد تعليمه لطلبتنا وبين ما يتعلمونه حقًا؟ ما أسباب ذلك؟
- لو كنت مكان "المديرة أمل" كيف يمكنك الردّ على أولياء أمور الطلبة؟
- ما المعايير التي اعتمدتها "المديرة أمل" للحكم على مخرجات التعليم للمدرسة؟
- كيف يمكن أن تساعد "المديرة أمل "في تحسين أداء المعلمات ليصبح تعلّم الطلبة ذا معنى في المدرسة؟

ذوو الاحتياجات الخاصة

هل أستمر في دراستي؟

في إحدى قرى شمال الأردن تقع مدرسة الأمل الثانوية الشاملة للبنات، وهي مدرسة حكومية تتسم بقِدم مبانيها، وتتكون من أجنحة منفصلة تضمّ غرفًا صفية تطلّ أبوابها مباشرة على ساحة المدرسة، وترتادها فتيات القرية اللواتي ينحدرن من عائلات ميسورة الحال، ويتميزن بتفوقهن الأكاديمي وحبهن للتعلّم وتنافسهن بغية الحصول على المراكز الأولى في التحصيل الأكاديمي، وأمّا الأهالي فينظرون بفخر إلى بناتهم ويشجعون روح التنافس بينهن ويرحبون بتفوقهن في الدراسة ويحتفون به.

في منزلها كانت سناء – وهي معلمة الرياضيات في المدرسة منذ خمسة عشر عامًا– مستغرقة بالتفكير في طالبتها "رزان" التي تسرب اليأس إلى قلبها الرقيق وبدا الحزن مخيمًا على جوارحها. كانت سناء تعرف أدق التفاصيل عن كل طالبة لديها؛ وكانت تعرف رزان حق المعرفة فهي مَن سعت إلى دمجها مع زميلاتها في صفها، بعد أن لاحظت مدى شغفها بالدراسة وتعلقها بها، ورأت كذلك محاولاتها للتميّز بين زميلاتها رغم معاناتها من ضعف في السمع والبصر وصعوبة في النطق، كان سعي رزان للتفوق والمنافسة سعيًا دؤوبًا، ولكنّها لم تصل به إلى غايتها المرتجاة؛ لذا بادرت سناء إلى وضع خطة لتحفيز طالبتها ومساعدتها على البقاء واقفة ومواكبة لما يحيط بها من تحديات.

ساندت سناء وزميلاتها المعلمات الطالبة رزان؛ فكانت تطلب إليهن أن يعطينها امتحانات تراعي حالتها دون إشعارها بالفرق، أو إشعارها بأنّها روعيت بسبب حالتها، استمرت هذه الحالة مدة ست سنوات دون مشاكل تُذكر، وأخذت سناء على عاتقها أن تشرح لكل معلمة جديدة تأتي إلى المدرسة ظرف رزان وما يجب القيام به لمساندتها.

تغييرات في كادر المدرسة

وصلت رزان إلى الصف الحادي عشر، وإذ ذاك حدث ما لم يكن بالحسبان؛ فمع بداية العام الجديد وصل إلى المدرسة مديرة جديدة وكادر جديد، ومع اقتراب امتحانات الشهر الأول جلست سناء مع المعلمتين الجديدتين اللتين تدرّسان رزان: "بيان وماجدة"، وبعد أن أوفت الحديث عن حالتها الصحية والدراسية طلبت إليهما مساعدتها بالسماح لرزان للجلوس في امتحانات خاصة، كان من الواضح في تعابير وجه بيان أنّها غير راضية عما سمعته للتو، وأجابت بغضب: "لن أفعل ما كنتن تفعلنه، فهذا أمر غير صحيح، إنما هو خداع مستمرللطالبة وذويها منذ ست سنوات، إنّه عمل غير إنساني".

فأوضحت سناء: "إنّ ما فعلتُه لم يكن إلا مراعاة لظرف رزان الخاص؛ فهي تبذل جهدًا مضاعفًا لتتعلم، ولكنّها لا تستطيع مواكبة زميلاتها؛ لذا اتفقنا أن نيسّر لها التعلم بوضع امتحانات خاصة تناسب حالتها".

ردّت بيان: "لا شأن للامتحان بحالتها الصحيّة ولا بظروفها، والآن اسمحي لي بالمغادرة لاقتراب موعد بدء الحصة".

انتهى الحوار بين المعلمات، ولم تفلح سناء بإقناع بيان بإعداد اختبارات خاصة لرزان، وفي الوقت نفسه لم تبدِ ماجدة قبولها للفكرة أو رفضها.

دخلت بيان إلى الصف الحادي عشر حيث توجد رزان، وشرحت درسها كالمعتاد، ومع اقتراب نهاية الحصة أخذت تناقش الطالبات بموعد الامتحان القادم، في تلك اللحظة سارت نحو رزان بخطوات بطيئة ثم قالت لها بهدوء: " الامتحان سيكون موحّدًا وستجلسين إلى الاختبار نفسه الذي يُقدم لزميلاتك".

غمرت رزان مشاعر مختلطة من الصدمة والألم، وكانت تحاول ابتلاع الحزن داخلها، لكنها لم تنبس ببنت شفة، وساد الصمت والوجوم المكان، كان الذهول باديًا على وجوه طالبات الصف جميعهن، كانت لحظة الحقيقة والواقع الصادم، كانت همهمات الطالبات تصدر من كل مكان في الصف: "لقد تكشّف الأمر... الآن فهمنا لماذا كان أداء رزان في الامتحانات أفضل من أدائها في الدروس اليومية!"

تقديم شكوى

بدأت الأمور تتفاقم فمع صبيحة اليوم التالي تقدّمت "والدة لُجين" إحدى طالبات الصف الحادي عشر بشكوى لمديرة المدرسة نيابة عن أولياء أمور الطالبات، مبدية استنكارها فقالت: "لماذا يوضع نموذجَيّ اختبار لطالبات الصف الواحد ؟ ما أعرفه أنّ الطالبات جميعهن يدرسن عند المعلمة نفسها، ويجب أن يكون الاختبار نموذجًا واحدًا يستوي فيه الجميع؛ ليتحقق مبدأ العدل والمساواة بينهن، فأيّ عدل في حصول رزان على علامة تؤهلها للنجاح للصف التالي وهي قد تكون مستحقة الرسوب! بل وتحصل على علامة مساوية لعلامة ابنتي التي خضعت لامتحان أصعب بكثير من امتحان رزان!".

أبدت المديرة سلوى –والتي يحترمها أهالي القرية ويقدّرون جهودها– هدوءًا وحكمة لامتصاص غضب والدة لجين فردّت: "لست متأكدة مما تقولينه، ولكن أعدكِ بإجراء تحقيق في الموضوع، وأؤكد لكِ أن العدل والمساواة بين الطالبات جميعهن هو غايتنا ولن يضيع حق ابنتك، وسأجتمع وإياكِ مع المرشدة لمناقشة الأمر فكوني مطمئنة".

استدعت المديرة المرشدة، وسردت أم لجين قصة ابنتها، ثم غادرت المدرسة منتظرة تسويغًا من المديرة لما حدث ومتوعّدة التقدّم بشكوى – بالتعاون مع الأهالي– للوزارة إنْ لم تسر الأمور وفقًا لمبدأ العدل. سارعت المديرة بعقد اجتماع طارئ مع معلمات المدرسة للتحقيق في الأمر.

التحقيق في الشكوى

عقدت المديرة اجتماعًا مع معلمات الصف الحادي عشر جميعهن والمرشدة

التربوية ومساعدة المديرة، وتمحور الاجتماع حول شكوى أم لجين، ثم طلبت سلوى توضيحًا لما يحدث، بادرت سناء الحديث بقولها: "ولكن من أوصل هذا الأمر للطالبات؟ إنّنا نفعل هذا منذ زمن طويل، ولم يعلم أحد بذلك، وكل ما نفعله لمصلحة رزان؛ فهي تحتاج معاملة خاصة منا لاحتوائها وعدم تجاهلها؛ فهي طالبة طموحة وهمتها عالية".

فقاطعتها المديرة قائلة: "ولماذا لم أُخبر بهذا الأمر مسبقًا"؟

سناء: "لأننا لم نجد الوقت المناسب لإخبارك، فمنذ قدومكِ للمدرسة وأنت مشغولة بصيانة المبنى المدرسي، وتجهيز الصفوف استعدادًا لموسم الشتاء".

المديرة: "لا أجد هذا مبررًا مقبولًا؛ فالموضوع ذو حساسية شديدة، وأنتِ تعلمين كيف يتنافس أهالي هذه القرية، ويتفاخرون بدرجات بناتهم وتحصيلهن الأكاديمي! لقد صرنا في مأزق حقيقي؛ فأولياء الأمور يهدّدون بتقديم شكوى للوزارة. برأيكِ ماذا سنفعل الآن؟"

قالت المرشدة: "أن يقدّم الأهالي شكوى للوزارة ليس من مصلحتنا؛ فقد يقتضينا ذلك الوقوف أمام المساءلة وربما ستفقد بعض المعلمات عملهن".

المعلمة بيان: "هذا ما حاولتُ قوله لسناء عندما اقترحت عليّ إجراء امتحان خاص لرزان".

المعلمة ماجدة: "أنا جديدة هنا ولا دخل لي بما حصل ولكنّني أقترح تقديم اعتذار للأهالي، ووعدهم بعدم تكرار الأمر، وإخبار رزان وذويها بأنّنا سنعاملها مثل باقي زميلاتها. ويجب ألا ننسى أنّه في السنة القادمة ستخضع رزان لامتحانات الثانوية العامة (التوجيهي)، وهذا الامتحان يأتي موحّدًا من الوزارة، وعند تصحيح دفاتر الإجابة فإنّ المصحّحين لا يعلمون شيئًا عن الظروف الخاصة لأي طالب، ولا ينظرون إلى اسمه، والإجابة المكتوبة هي الفيصل".

طأطأت سلوى رأسها غارقة بالأفكار، ثم رفعته منتفضة نحو سناء: "أعلميني ما الضمان الذي سيجعل الأهالي يمتنعون عن تقديم شكوى للوزارة؟ وهل سيكفي الاعتذار؟ ومَن سيتحمّل النتائج؟ هاتِ ما لديك من حلول للمشكلة التي أوقعتِنا بها!"

المعلمة سناء: "سأتحمل المسؤولية كلّها، واتركي الموضوع لي. سأحاول حلّه بما يُرضي الجميع".

المرشدة: "نحن هنا نعمل معًا من أجل مصلحة الطالبات، ولا نلقي لومًا على طرف دون آخر، فالجميع محاسَب، ويجب وضع حل مُرضٍ للجميع، وأول خطوة يجب فعلها هي توحيد الامتحانات للطالبات جميعهن، وإبلاغ الطالبة رزان بذلك".

انتهى الاجتماع الذي أسفر عن طلب إحضار رزان إلى الإدارة لإبلاغها بالقرار الجديد. فحضرت إلى الإدارة متوجسة مهمومة وكأنها وضعت في حسبانها مآلات الأمور، ثم جلست مع المعلمات على طاولة الاجتماعات وبجانبها معلمتها سناء. بدت رزان مترقبة وجِلة فأمسكت سناء بيدها، وأخبرتها

بنبرة حزينة: "أنا أحبّكِ مثل ابنتي يا رزان، ولكن لا يمكنني إبقاء هذا الأمر سرًا لمدة طويلة. فخلال السنوات الماضية اتفقتُ مع معلماتك على إجراء امتحان خاص بك؛ لكي تتمكني من التقدم في دراستك والانتقال للصف التالي، ولكنّك الآن وصلت إلى عتبة امتحان التوجيهي، وتعلمين أنّ امتحاناته وزارية، والتصحيح سيكون موحدًا للجميع، وقد يكون من الصعب عليك اجتياز مثل هذه الامتحانات".

في هذه اللحظة خيم الصمت على الجميع، وبدا الحزن مُجللًا ملامحها. كسرت رزان الصمت قائلة: "وهل يعني ذلك أنّني لن أتمكن من تحقيق حلم حياتي والوصول للجامعة؟ أين أنا من زميلاتي؟ هل أستمرّ في دراستي أم أترك المدرسة؟"

خرجت رزان من غرفة المعلمات مكسورة القلب والخاطر ودموعها تذرف على وجنتيها.

أسئلة تأملية

- هل تجد أن سناء وزميلاتها عاملن رزان معاملة خاصة على مرّ السنين؟
- لو كنت معلمًا لرزان، كيف كنت ستتعامل معها؟ هل هناك بدائل لكيفية تعامل المعلمين مع مثل هذه القضية؟
- هل تعتقد أنّه كان من المناسب الاتصال برزان وإبلاغها بما يحدث؟ ما الخيارات التي لدى رزان الآن؟
- كيف ينبغي للمدارس تلبية الاحتياجات التعليمية المختلفة لطلبتها؟ كيف يتغير هذا الدور في سياق الاختبار الموحد؟

لا تتركوني خلفكم

تقع مدرسة المدار الثانويّة للبنين في إحدى ضواحي العاصمة الأردنيّة عمان، كادرها التدريسي زهاء العشرين معلّمًا، ويبلغ عدد طلابها حوالي (٢٥٠) طالبًا، بعضهم من أبناء المنطقة، وبعضهم انتقلوا إليها مع عائلاتهم؛ بحثًا عن وظائف في الزراعة وغيرها من المجالات. ومع ذلك تبدو الأمور على غير ما يرام؛ فالزائر للمدرسة يكتشف من الوهلة الأولى مدى توتر الأجواء فيها، ثم يكتشف أيضًا أن أولياء الأمور غير راضيين عن أداء أبنائهم التحصيلي، ولا عن أداء المعلمين.

وضع صعب يواجهه مدير المدرسة السيد "مسعود" منذ أن تسلّم إدارة المدرسة قبل أكثر من عام. كيف يمكنه تغيير ثقافة المدرسة؟ وكيف يمكن تحسين نتاجات التعلّم؟ سؤالان تبادرا إلى ذهنه منذ الأيام الأولى للالتحاقه بالمدرسة، وطرحهما على معلمي المدرسة أكثر من مرة؛ لعله يجد لهما جوابًا شافيًا. كان معظم المعلمين يرون صعوبة التغيير ووعورة مسالكه؛ لذا كانوا يكتفون بأداء عملهم المطلوب فقط دون إضافة جهود للتحسين والتطوير. "أحمد، وعلي، ويحيى،" معلمون خدموا سنوات طويلة في المدرسة ويعتقدون أن التغيير ليس في نطاق الممكن، وقلّة من أولئك المعلمين الذين ظنوا عكس ذلك وأظهروا حماسًا للتغيير، وإيمانًا به.

مسعود

"المدير مسعود" ذو خبرة جيدة في مجال القيادة التربويّة، يحرص على التشاركيّة في اتخاذ القرارات، ويسعى إلى إحداث تغيير نوعيّ في مدرسته؛ لتكون جاذبة، وترحيبيّة، ومجتمعيّة.

> تأمّل مسعود وجوه طلابه أثناء الطابور الصباحيّ محدّثًا نفسه: "كيف يمكن لي تحويل هذه المدرسة إلى منارة للعلم، وجعلها بيئة مجتمعيّة جاذبة تقدم خدماتها للطلاب وللمجتمع المحلي؟ وكيف لي أن أستثمر طاقات الطلاب وإبداعاتهم ليكونوا قادة للمجتمع وفرسانًا للتغيير؟"
>
> عندما صرّح المدير بهذه الأفكار أمام بعض المعلمين الذين أمضوا سنوات في هذه المدرسة، كان ردّ المعلم (أحمد): "إنك لن تجني من الشوك العنب؛ فلا تتعب نفسك".
>
> أضاف المعلم (علي): "يلزمك معجزة وتعب طويل لتتمكن من إحداث التغيير المنشود".

أمّا المعلم (آدم) فكان إيجابيًا، وأبدى استعداده للتعاون مع الإدارة لتحقيق رسالة المدرسة.

ضيف غير متوقع

دخل رجل أسمر طويل إلى ساحة المدرسة حاملًا ملفًا أخضر اللون، ومعه صبي يبدو أنّه مختلف في سمته عمن هم في سنه، وما إن رأى مجموعة من الأولاد يلعبون حتى ركض نحوهم، وأخذ يتمتم بكلام غير مفهوم المعنى، وبدا واضحًا أنّه لا يدرك ما يقوم به. ولاسيما

بعد أن حاول الإعتداء عليهم بالضرب، ثمّ عاد واختبأ خلف الرجل الأسمر الطويل. كان واضحًا من طريقة كلامه وحركاته ونظراته أنّه يعاني من إعاقة عقليّة.

دخل الرجل إدارة المدرسة، وقابل المدير قائلًا: "ابني يعاني من إعاقة عقليّة، وهو يُعالَج في مركز إعاقة، وقد طُلب إليّ أن أدمجه في مدرسة حكوميّة كجزء من برنامجه العلاجيّ، وأرجو موافقتكم على التحاقه بالمدرسة".

تناول مدير المدرسة الملف من الأب، وقرأ ما كتبه طبيب مركز الإعاقة عن حالة الطفل: "يوسف طفل يبلغ من العمر ثماني سنوات، يعاني من إعاقة عقليّة وحركيّة، حيث تبيّن نتيجة الفحص أنّ استجابته ضعيفة للعلاج، وأنّ أطرافه العلويّة غير مكتملة النموّ؛ لذا يُنصَح بدمجه في مدرسة حكوميّة؛ إذ من الممكن أن يكون هناك استجابة وتطوّر في أداء الوظائف الجسمية والعقلية بمخالطة الأقران والمتابعة".

وقف المدير حائرًا: "هل يقبل هذا الطفل في المدرسة أم لا ؟ إنّ إلحاقه بمدارس متخصصة بالدمج سيكون مكلفًا للعائلة، ويتطلّب انتقال العائلة للعيش في العاصمة، وقد يكون ذلك غير ممكن".

طلب مدير المدرسة إلى والد يوسف أن يترك له الملفّ؛ لدراسته مع أعضاء الهيئة التدريسيّة والإداريّة، على أن يأتيه في اليوم التالي لتلقّي الردّ.

كلّف مدير المدرسة "علام" المرشد التربويّ في المدرسة دراسة ملفّ الطالب يوسف، وتوضيح ما فيه. فأجاب المرشد: "الإعاقة العقليّة له تعكس مستوى أداء وظيفيّ عقليّ أقل من المتوسّط بدرجة ملحوظة، وهذا بدوره يؤدّي إلى تدنٍّ في عدد من مظاهر السلوك التكيّفيّ التي تظهر في مراحل العمر النمائيّة، وهي مدى القدرة على التفاعل مع البيئة الطبيعيّة والاجتماعيّة أيضًا مقارنة مع الفئة العمرية التي ينتمي لها. والدمج يعني مشاركة الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصّة في العمليّة التربويّة العامة، ويعدّ هؤلاء الطلبة مندمجين إذا أتيحت لهم الفرصة لقضاء أيّ وقت من اليوم الدراسيّ مع الطلبة العاديّين".

بعد هذا الوصف وقف المدير متأملًا بين أمرين: سلوك الطفل العدائي تجاه الأولاد الذين شاهدهم لحظة دخوله ساحة المدرسة من جهة، وحق هذا الصّبي في اللحاق بركب الطلاب الأسوياء العاديّين في التعلم، والعيش حياة طبيعيّة من جهة أخرى؛ فطلب اجتماعًا طارئًا لأعضاء الهيئة التدريسية، وطرح عليهم موضوع قبول يوسف ودمجه مع الطلاب.

كانت آراء المعلمين متباينة؛ فقد علّق المعلم "علي" بالقول: "سيكون من الصعب التعامل مع طالب يعاني من إعاقة عقليّة دون وجود متخصّص في المدرسة للتعامل معه".

وقف المعلم "أحمد" وبلغة الواثق من كلامه قال: "هل سيقبل أولياء أمور الطلاب وجود طالب يعاني من إعاقة عقليّة بين أبنائهم، خاصة وأنّ لديه سلوكًا عدائيًا ظاهرًا؟هل ستتحمّل إدارة المدرسة المسؤوليّة إذا اعتدى على أحد الطلبة؟"

وقف مدير المدرسة قائلًا: لا تنسوا أنّ مدرستنا تحمل رسالة وشعارًا هو: (مدرستنا ترحيبيّة، ومدرستنا مجتمعيّة)؛ ويجب أن يُترجَم الشعار على أرض الواقع. وهذه فرصتنا لإثبات ذلك، لا سيما أنّ لنا تجربة سابقة مع طالب يعاني من إعاقة عقليّة ودُمج مع الطلاب. صحيح أن نتائج دمجه كانت متواضعة، ولم يكن لديه سلوك عدوانيّ تجاه الطلبة، ولكن هذه الحالة سنثبت فيها كفاءتنا وقدرتنا على التعامل مع مثل هذه الحالات".

تدخّل المرشد التربوي علّام مستشهدًا بقانون دمج ذوي الإعاقة في التعليم، في القانون الأردني، وقال: "يجب ألّا ننسى أنّ القانون الأردني يحظر استبعاد الشخص من أيّ مؤسّسة تعليميّة على أساس الإعاقة أو بسببها. وإذا تعذر التحاق الشخص ذي الإعاقة بالمؤسّسة التعليميّة؛ لعدم توافر الترتيبات التيسيريّة المعقولة، أو الأشكال الميسرة، أو إمكانية الوصول، فعلى وزارة التربية والتعليم إيجاد البدائل المناسبة، بما في ذلك ضمان التحاق الشخص بمؤسّسة تعليميّة أخرى".

وأضاف: "وبما أنّه لايوجد مؤسّسة تعليميّة أخرى في المنطقة تُعنى بدمج ذوي الإعاقة في التعليم، أرى أنّ من واجبنا قبول يوسف، وتوفير البيئة المناسبة له للحاق بركب زملائه في تلقي التعلم".

نظر مدير المدرسة مسعود إلى معلم الصفّ الأول "حمّاد" الذي كان غارقًا في التفكير، ومسرّحًا بصره نحو ما قاله المعلمان: "أحمد وعلي". وبعد تنهيدة عميقة قال: "سيدي، أنا قبلت التحدي، سأعمل ما بوسعي لدمج هذا الطفل، وتطبيق ما تعلمته في الجامعة من نظريات تتعلق بالدمج، وسأسطّر- إن شاء اللّه - قصة النجاح هذه في سجل المدرسة."

اعترض يحيى معلم اللغة الإنجليزية، وبرّر عدم موافقته على قبول الطفل قائلًا: "إنّ الطلاب العاديّين يصعب عليهم تعلّم لغة ثانية غير لغتهم الأمّ، فما بالكم بطفل معاق عقليًا؟ إضافة إلى أنّ المدرسة لا يتوفر فيها مختصّ بالتعامل مع حالات مشابهة لحالة يوسف!"

وافق مدير المدرسة على قبول يوسف في الصفّ الأول بعد تصويت أغلبيّة المعلمين بالموافقة على دمجه مع طلاب صفّه؛ ليكون دمجه قصة نجاح للمدرسة، في حين استاء المعلمون الذين عارضوا الموافقة على الدمج.

اليوم الأول في المدرسة

دخل يوسف المدرسة في الصباح الباكر، يحمل على ظهره حقيبة لا يبدو أنّ فيها من أدوات الدراسة شيئًا، إلّا أنّ علامات الفرح والابتهاج كانت بادية على قسمات وجهه التي كانت تتغير سريعًا كلما رأى طالبًا جديدًا دخل المدرسة. قُرع الجرس إيذانًا ببدء الطابور الصباحيّ، وانتظم الطلاب في صفوفهم. أين ذهب يوسف؟ إنّه يتجول بين الصفوف على غير هدى. فيمسكه معلّم الصفّ الأول، ويوقفه مع زملائه في الصف، وسط نظرات لوم وعتاب من زملائه الرافضين لقبوله. يردّد الطلاب النشيد الوطنيّ بحماس، فيما تخرج من يوسف كلمات غير مفهومة تكون مصدر ضحك من الطلاب بجواره.

يلتفت يوسف حوله بعد أن أنهى الطلاب النشيد الوطنيّ، ثم يبدأ بإصدار أصوات غريبة مرة

أخرى، تنبعث بعدها ضحكات الطلاب.

وقف مدير المدرسة حائرًا ومتسائلًا: "هل كنتُ مخطئًا في قبول الطالب؟ ماذا عليّ أن أفعل لتجنّب مثل هذا الإحراج كلّ يوم؟ هل أجنّب الطالب الوقوف في الطابور الصباحيّ؛ حتى لا يكون مادة للسخرية كلّ صباح، أم أجعله يقبل التحدي وأصبر معه، وسيتمكن من الاندماج مع الطلاب ولو بعد حين؟"

أدخل المعلم طلابه إلى الصف، وأجلس يوسف على مقعد وحده، ثم سلّم الكتب له فأخذ يتفحّصها ويقلّب صفحاتها، ناظرًا إلى ما تحتويه من صور، وكان كلّما قلّب صفحة خرجت منه أصوات غير مفهومة، غير أن تعابير وجهه كانت تنبئ بسرور وفرح لرؤية هذه الصور.

خرج حمّاد من الصف، ودخل معلم اللغة الإنجليزيّة يحيي، فاستغلّ المعلم حمّاد الفرصة للاجتماع بالمدير والمرشد التربويّ؛ لبناء خطّة للتعامل مع حالة يوسف، فقال المدير: "من أين نبدأ؟ من البيت وولي الأمر، أم من الغرفة الصفيّة، أم من المعلمين والطلاب، أم من المجتمع؟"

سمع المدير والمعلم صوتًا عاليًا ينادي: "يوسف، لقد هرب من الصف وخرج إلى الشارع. انتبهوا؛ فقد يتعرض للدهس من المركبات".

أضاف المعلم يحيي بعصبيّة: "هل سندرّس أم نلحق يوسف إلى الشارع ؟!"

ردّ عليه المدير والمرشد: "لا بدّ من الصبر، إنّ العمل مع هذه الحالات له كثير من الميعقات، ويحتاج تخطيطًا جيّدًا للوصول إلى نتائج مثمرة".

اتفّق مدير المدرسة والمرشد وحمّاد على خطة العمل، على أن تبدأ بالوالدين في البيت لمتابعة يوسف، ثمّ يكثّف المرشد برنامجه الإرشاديّ نحو الصفّ الأوّل، وعلى معلم الصف الأول حمّاد بناء خطّة تتضمّن استراتيجيات للتعامل مع حالة يوسف. أمّا يحيى فقد اعتذر عن المشاركة بقوله: "التعامل مع هذه الحالات من اختصاص المرشد، والمعلمون غير مؤهّلين للتعامل معها، وليس بإمكانهم منع الاعتداءات المتكرّرة عليه أو اعتدائه على الآخرين".

مَن يتحمل المسؤولية؟

تمضي الأيام الأولى صعبة على يوسف وإدارة المدرسة والمعلم حمّاد؛ فكلّ يوم تقدم شكوى من الطلبة على يوسف بأنّه يمارس سلوكات عدائيّة تجاههم، وشكوى غير مفهومة من يوسف مضمونها أنّه يتعرض للاعتداء الجسدي. شرع المدير يساعده المرشد بتتبع حالات الاعتداء، وتوعية الطلبة بموضوع الدمج وحالة يوسف، وتوضيح العقوبات عند حدوث اعتداء عليه.

أولياء الأمور

في اليوم التالي، جاء ولي أمر الطالب زيد– أحد طلبة الصف الأول– إلى المدرسة غاضبًا، وشاكا بأنّ المدرسة ليست مؤهّلة لاستقبال المعاقين، ولن يقبّل تصرفات يوسف مع ابنه

في المدرسة، وأنهّ سيقود حملة في القرية ضدّ وجوده في المدرسة. لم تمضِ سوى أيام حتى أتى والد الطالب "صخر" أيضًا مستفسرًا عن سبب قبول طالب معاق عقليًا، وكيف سيعملون على وقف اعتداءاته على زملائه.

طلب مدير المدرسة اجتماعًا لأولياء الأمور لتبرير سبب قبول يوسف، وأنّ قصة نجاح هذا الطالب ودمجه ستكون نجاحًا للجميع، ولكنّ المسألة بحاجة إلى صبر ووقت طويلين. انقسم أولياء الأمور إلى فريقين مؤيد لوجود يوسف في المدرسة ومعارض له ؛ فالمؤيد احتج بأنّه إنسان كغيره من البشر، وله حقوق كفلها الدستور كطفل، وأنّ إعاقته أمر خارج عن إرادته، ولكنّه بحاجة إلى مراعاة خاصّة ومراقبة مستمرّة، كما أنّ تكلفة نقله إلى مركز متخصّص مكلفة، وتثقل كاهل عائلته. فيما كان رأي الفريق الآخر أنّه يجب إعادته إلى مركز المعاقين ليلقى هناك الرعاية المطلوبة من ذوي الاختصاص، وأن مركز المعاقين هو المكان الطبيعي لوجوده وليس المدرسة، وأنّ بإمكان والده الاستعانة بمؤسسات حكومية تقدم الرعاية للمعاقين بالمجان. صحيح أنّها بعيدة عن مكان إقامته ولكنه يستطيع أن يرتحل إلى هناك ويقيم قريبًا من تلك المراكز.

ماذا سيفعل والد يوسف ليتجاوز محنته؟ هل يترك منطقته وعمله ويذهب إلى حيث مراكز المعاقين التي تقدّم الخدمة ليوسف؟ هل يترك عمله في المزارع ويبحث عن عمل في المدينة؟ هل يُبقي يوسف في المدرسة ويظل يتلقى اللوم ويترك مدير المدرسة والمعلم حماد يتحملان أعباء اندماج يوسف مع أقرانه في المدرسة؟

بين الواقع والمأمول

تابع بعض المعلمين تصدّيهم لفكرة دمج يوسف، وحاولوا تسليط الأنظار على الصعوبات المرتبطة بعدم جاهزيّة المدرسة والمعلمين للتعامل مع حالة يوسف مع وجود عدد كبير من الطلبة في الصف، وصعوبة تكييف المنهاج وأدوات التقييم لتلائم قدراته العقليّة.

> لم يُثن ذلك المدير مسعود والمعلّم حماد عن قرارهما قبول يوسف، إلا أنّ الأسئلة التي ما زالت قائمةً في ذهنه: "كيف سيندمج يوسف مع طلاب صفّه في ظل تيار معارض من المعلمين والأهالي الذين لا يرون جدوى من دمجه مع مجموعة من فئته العمريّة؟ هل سينجح الدمج؟ هل كان قراره في مصلحة يوسف؟"

أسئلة تأمليّة

- لماذا لم يقبل بعض المعلمين يوسف في المدرسة؟ من وجهة نظرك، ما الذي تدل عليه هذه الآراء؟
- ما الإجراءات التي يمكن أن يتخذها مدير المدرسة والمرشد التربوي لدمج يوسف في سياق التّعلم؟
- كيف يمكن للمعلمين شرح القضية لأولياء الأمور المشتكين؟
- ماذا يعني الدمج في المدرسة؟

ما مشكلتك؟

كانت السماء تمطر طيلة صباح اليوم، كانت " فلحة" مديرة مدرسة "المستقبل" تعبر الممرّ المؤدي إلى غرفة المعلمة "سعاد" لاستدعائها من صفها، وضعت سعاد القلم والأوراق التي في يدها جانبًا، واتجهت نحو الممرّ برفقة المديرة.

في ردهة المدخل الرئيسي، توجهت المديرة فلحة نحو طالبة تجلس على كرسي متحرك "لدينا طالبة جديدة "مها"، وهي من ذوي الاحتياجات الخاصة، وآمل أن ترحبي بها في صفك".

نظرت المعلمة إلى الطالبة الجديدة، كانت ترتعش ارتعاشًا خفيفًا، وكانت عيناها تنظران إلى الأسفل، كان الوقت مبكرًا وعدد قليل من الطالبات في المدرسة، لكنّ مها بدت غير مرتاحة. كانت المعلمة سعاد تدرك أن الانتقال إلى مدرسة جديدة يكون صعبًا على أي طالب، فكيف سيكون الأمر إذن على مها وهي أيضًا تعاني من إعاقة!

بدأت سعاد التفكير في كيفية التعامل مع هذه الطالبة الجديدة، وكيف يمكنها ضمان عدم إشفاق الطالبات الأخريات عليها أو السخرية منها، وهي تعلم أن هذا الأمر يتطلب جهدًا كبيرًا وتخطيطًا جيدًا. لكن سعاد معلمة على قدر من الكفاية؛ فهي متميزة، وطموحة، وحازمة، ومحبوبة لدى طالباتها؛ وربما هذا الذي دعا المديرة أن تجعل مها في صفها وتحت جناحها.

تقدّمت المعلمة سعاد نحو مها وابتسمت لها وسألتها: "ما اسمكِ؟" وعلى الفور غطّت مها وجهها بيديها، وأجهشت بالبكاء، تفهمت سعاد حالتها النفسية، وانتظرت حتى هدأت ثم انطلقت بها للجلوس في مكان أكثر خصوصية ثم بدأت معها الحديث من جديد.

كانت سعاد في حديثها تحاول الولوج إلى شخصية مها وتفهم مخاوفها، لكن ردود مها كانت مقتضبة وكلماتها مغمغمة، ولاحظت سعاد أنّها تتحدث بلسان ثقيل، وأن نطقها غير واضح إلى حدّ ما، كما أن قدرتها على الإمساك بالأشياء الصغيرة كالقلم كانت ضعيفة. في أثناء الحديث ودون قصد أنزلت المعلمة سعاد رأسها قليلًا، فما كان من مها إلا أن قالت: "هل أنا شخص غريب"؟، فرفعت المعلمة سعاد رأسها بسرعة، وابتسمت لها ابتسامة دافئة وحانية، كانت هذه أول جملة نطقتها مها مع معلمتها نطقًا كاملًا.

ثم أخرجت سعاد لوحًا صغيرًا وقلمًا واقتربت من مها، وقالت لها: "هل لكِ أن تكتبي هذه الجملة: أنا مها، أنا طالبة موهوبة للغاية". شرعت مها في كتابة الجملة دون صعوبة لكنها كانت بطيئة بعض الشيء، وحالما فرغت من الكتابة أعادت القلم للمعلمة، وفي لحظة انهزام أجهشت بالبكاء مرة أخرى وتمتمت: "أنا عديمة الفائدة!".

تكيّف مها

ولدت مها بإعاقة حركية دونًا عن إخوتها وأخواتها؛ بسبب مشاكل صحية رافقت والدتها أثناء الحمل. وقبل الالتحاق بمدرسة المستقبل كانت مها قد درست في مدرسة مخصصة لذوي الاحتياجات الخاصة. وعلى الرغم من أنّها كانت بطيئة في ردّات الفعل تجاه كل ما يدور حولها، إلا أنّها لم تكن تعاني أي صعوبات في التعلم، ولم تواجه أي مشكلات جوهرية في الفهم أو الاستيعاب أيضًا؛ لهذا السبب ارتأت المرشدة التربوية أنّ على مها الالتحاق بمدرسة عامة، وأوصت بذلك فعلًا إلى وزارة التربية والتعليم.

كانت مدرسة مها الجديدة مدرسة ابتدائية عامة مختلطة، فيها ما يربو على (٣٠٠) طالب وطالبة، تقع في منطقة ريفية في جنوب الأردن. اشتهرت هذه المدرسة بدعم طلبتها وتنمية شخصياتهم وثقتهم بأنفسهم. وكان طلبتها من خلفيات اجتماعية واقتصادية وثقافية متنوعة، ومن بلدان مختلفة أيضًا، بما في ذلك الأردن وسوريا والعراق ومصر.

لم يكن من السهل على مها التكيف مع المدرسة الجديدة والتفاعل مع أقرانها بأريحية، ويبدو أن هذه الصعوبة زادت من مشكلاتها في التواصل الفعال مع الآخرين ومع ذلك، كانت المعلمة سعاد مصمّمة على مساعدة مها.

نشاط العمل التعاوني

في الأسبوع الأول لمحاولة دمج مها في الصف، أخذت المعلمة سعاد تراقب معاملة الطلبة لها؛ حيث تقبّلها بعض أقرانها سريعًا، إلا أن معظمهم تجاهلوها وسخروا منها، ومن هؤلاء طالبة تدعى " لين" فكانت تستهزئ بها باستمرار، مما جعل مها تتراجع أكثر من ذي قبل، وفي المقابل لاحظت المعلمة سعاد أن الطالبة "أسمهان" كانت تعتني بها، وتحرص على إشعارها بالراحة، فكانت تجلس إلى جانبها، وتكون دومًا بقربها إذا احتاجت للمساعدة.

قررت المعلمة سعاد إعداد نشاط جماعي؛ لمنح الطالبات جوًا من الحب والتعاون. فقسّمت الصف إلى أربع مجموعات، مع التأكد من وضع أسمهان ومها في المجموعة نفسها. كانت فكرة النشاط تكمن في أن تضع كل مجموعة تصميمًا لمدرستهم الخاصة، ويناط بكل عضو في المجموعة عدد من المسؤوليات مثل: تحديد المواد الدراسية، أو وضع قواعد للمدرسة، وعلى كل طالب أن يسهم في رسم تصميم عام للمدرسة على ورقة كبيرة، على أن يتم عرضها على الطلبة في نهاية النشاط.

كانت سعاد تدرك أنّ طلبتها يحبذون هذا النوع من التعليم الحر، وكانت تأمل في أن يساعدهم هذا النشاط في إدراك ما يحبونه وما لا يحبونه في المدرسة، وأعربت عن أملها في أن يساعد هذا النشاط مها على تكوين صداقات جديدة.

> عند انتهاء وقت النشاط شعرت سعاد بفرح غامر. فقد شاركت كل مجموعة خططها الإبداعية مع المجموعات الأخرى، وعرضت المجموعات أعمالها، ثم قدمت مجموعة مها تصميمها لكنه لم يكن مكتملًا، فسألت لين مها بصوت عالٍ على مسمع الصف بأكمله: "مها، لماذا لم تنه تصميمك؟"
>
> أما "الطالب أحمد" أحد أعضاء مجموعة لين، فحاول إبراز نفسه، وقال متهكمًا وبصوت عالٍ: "لقد قام كل منا برسم الجزء الذي أعطي له، وكان من المفترض على مها أنّ ترسم المدخل الأمامي، لكن الأمر استغرقها دهرًا من الزمن! "

طأطأت مها رأسها وهي تشعر بحرج شديد، ونظر الجميع إلى رسمها للمدخل الأمامي، وكان من الواضح أنها لم تكمل التلوين ورسم الخطوط العريضة له، وكان من الواضح أيضًا أنها قضت معظم وقتها وهي تجسد صورة معينة في ذهنها مجموعة من المنحدرات المزخرفة المؤدية إلى المدخل الأمامي للمدرسة، لم تكن موجودة أصلًا في المدرسة.

أما "مريم" إحدى طالبات المجموعة، فأبدت قلقها من أن تؤثر رسمة مها غير المكتملة على درجتها. فقالت: "معلمتي ، ليس من العدل أن تتدنّى علامات مشاريعنا بسبب مها وتقصيرها في الرسم". عندما سمعت مها هذه الكلمات دفنت وجهها بيديها، وبدأت البكاء، لم تفوّت لين فرصة السخرية من مها فقالت: "مها، هل تبكين؟ يا لكِ من طفلة! حتى أنك لم تتعلمي المشي حتى الآن!"، وهنا تدخلت المعلمة سعاد وقالت: "هذا يكفي!" ولكن بعد فوات الأوان، لقد انقسم الطلبة في الصف إلى قسمين، لين وأصدقاؤها الذين أخذوا يضحكون على مها ويسخرون من كرسيها المتحرك، وفي المقابل، أسمهان ومجموعة من الطلبة الذين أخذوا يهدئون روعها. وضعت أسمهان يدها على ظهر مها وصرخت في وجه لين، "ما بكِ، ما مشكلتك؟" ردت لين قائلة: "أنا ليس لدي أي المشكلة، إنها مها"! واستمر أصدقاؤها في التلاسن وازدادت وتيرة الصوت ارتفاعًا ودخل الصف في حالة من الفوضى.

وقفت المعلمة سعاد حائرة؛ فاختلاف الطلبة فيما بينهم لم يؤد يومًا إلى مثل هذا التنمر في صفها من قبل، وانتهى النشاط على غير ما توقعته، وشعرت بالفشل وأنها أثارت مزيدًا من السخرية ضد مها دون قصد.

ربما حاولت سعاد بهذا النشاط معاجلة الزمن لمساعدة مها على الاندماج مع أقرانها، و قد بذلت جهدًا كبيرًا لتحقيقه، ولكن إذا كان الأمر كذلك، فما الذي يمكنها فعله لجعل الطلبة يتقبلون مها؟ وكيف يمكنها أن تجعل مها منفتحة في المستقبل بعد كل هذا الألم؟ أسئلة كثيرة تضاربت في رأس المعلمة سعاد؛ لقد كانت مصدومة وفي حالة ، وصفّها تعمّه فوضى عارمة.

أسئلة تأملية

- ما الذي يجب على المعلمة سعاد فعله في الوقت الحالي لاستعادة السيطرة على طلبة الصف؟
- هل تسرّعت المعلمة سعاد في مساعدة مها؟ كيف يمكنها الاستفادة من هذه التجربة والمضي قدمًا؟
- كيف يمكن للمعلمة سعاد مساعدة مها على التكيف مع طلبة صفها؟ وما الذي يجب عليها فعله لجعل طلبة الصف أكثر تقبلًا لها؟
- ما الدور الذي ينبغي أن تقوم به مديرة المدرسة "السيدة عائشة" لإنقاذ الموقف؟
- ما العوامل المؤثرة في البيئة الصفية؟

ليس عدلًا!

كانت هناء تتأمل أوراقها وكتبها وخططها التي أعدتها أثناء عطلة الصيّف الطويلة استعدادًا للعام الدراسي الجديد، تتأملها بيأس وإحباط شديدين بعد أن خاطبتها مديرة المدرسة الجديدة قائلة: "لن يسمح لك بالتدريس، وهذا قرار نهائي، ولا رجعة فيه".

عادت هناء بذاكرتها إلى الوراء إلى تلك الساعات الطويلة والتحديات الكبيرة التي واجهتها على امتداد سنوات دراستها، لقد كانت مرحلة صعبة للغاية ومليئة بالتحديات، لقد تذكرت كيف كافحت للوصول إلى أهدافها، وتذكرت لحظة السعادة التي غمرتها يوم عُيّنت معلمة أخيرًا. مع تزاحم هذه الأفكار في عقلها، صاحت بغيظ شديد: "هذا ليس عدلًا، لماذا أنا؟ لماذا لا تعفى الزّميلة التي انضمّت حديثًا للمدرسة من التدريس؟"

وبعد أن نظرت لها المديرة بجديّة، تساءلت هناء عما يمكن أن تفعله للكفاح من أجل بقائها في وظيفتها التي حصلت عليها بشق الأنفس.

الطموح في مواجهة التحدي

تنتمي هناء إلى عائلة متوسطة الحال، وهي معلمة كفيفة ولديها شقيق يعاني من إعاقة بصرية أيضًا، لقد اعتادت على التنقل في عالم المبصرين، وبتشجيع ممن حولها استطاعت أن تتغلب على التحديات التي تواجهها باستمرار. فقد درست في الجامعة وحصلت على درجة البكالوريوس في اللغة العربية، ثمّ حصلت على الماجستير في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها؛ ولأنّها تعاني من إعاقة بصريّة، كانت تتوقع أن تُعيّن في مدرسة للمكفوفين ولكنها تفاجأت بواقع الحال، ومع ذلك فقد تحمّست لتعيينها معلمة في مدرسة للطلبة العاديين، وقد عملت بجدٍّ لكسب ثقة الذين يعملون معها، وفعلًا نالت هذه الثقة؛ فمُنحت عدة شهادات من المشرفين والزّملاء الّذين أشادوا بمهاراتها التدريسية وبإدارتها الفعّالة لغرفتها الصفية. وبلغت أقصى درجات استحقاقها للعمل في مدرسة للمبصرين حين لعبت دورًا رئيسًا في إنقاذ الطلبة عندما اندلع حريق في مختبر العلوم، فقد اشتمت رائحة دخان عندما كانت تجلس في غرفة المعلمات مع بعض زميلاتها في انتظار بدء حصتها، وكان رد فعلها سريعًا؛ إذ تتبعت مصدر الرائحة الذي نتج عن اشتعال النار ونبهت الجميع لإخلاء المكان.

كانت هناء تدرّس مادة اللّغة العربيّة للطالبات المتفوقات، وأثبتت أنها معلّمة ناجحة؛ إذ كانت تؤدي دروسها لطالباتها باستخدام طرائق تدريس حديثة، وتتجنب الطرائق التقليديّة، طالباتها يعملن في مجموعات ويتولين مسؤوليّة تعلمهن، وأصبحن أكثر انخراطًا في دروسهن، وحققن نتائج متميزة في اختبارات نهاية العام، كما حصلت طالباتها على جوائز في مجال الإبداع الأدبيّ على مستوى المديريّة، ولأنّها كانت عاقدة العزم على الاحتفاظ بثقتها في نفسها أمضت كثيرًا من الساعات أثناء عطلتها الصيفيّة في البحث عما يفيد طالباتها وإعداد الخطط والأنشطة المميزة لهن.

المدرسة

مدرسة الأخلاق الحميدة مدرسة ثانويّة تضمُّ (٦٠٠) طالبة، تقع على تلة عالية، وتطل على الأحياء المكتظة أسفلها، معلمات المدرسة من سكان المنطقة تربطهن أواصر قويّة مع الطالباتِ وأولياء أمورهن، وهناء إحدى القاطنات فيها، وأصبحت معروفة لديهم، ونشأت بينهم ألفة وعلاقات ودّ ومحبة. وقد تولت مسؤوليّة تدريس اللّغة العربيّة للصّف التّاسع، وكان من حسن طالعها وما أشعرها بالدعم والتشجيع أن المجموعة الأولى التي درّستها ضمت مجموعة من أفراد أسرتها وأصدقائهم.

تحدٍّ جديد

مديرة المدرسة "سماح" لديها خبرة قيّمة، وتعتقد بأنّه إذا وُفّرت أفضل الموارد الممكنة فإنّ التعليم والتعلم سيكونان أكثر نجاحًا، غير أنّها في هذه المدرسة ولأول مرة في حياتها المهنية تتعرض للتعامل مع معلمة من ذوي الاحتياجات الخاصة، كانت دائمًا تشكّ في أداء هناء، وفي الآونة الأخيرة، عبّرت لها عن قلق بعض أولياء الأمور الذين قالوا لها: "إنّ المعلمة هناء لا تستطيع رؤية كل ما يحدث داخل الغرفة الصّفيّة، فقد يحصل خطبٌ ما لبناتنا أثناء حصتها".

كانت سماح نفسها تساورها هذه المخاوف والظنون، لا سيّما مع تزايد حوادث التنمر في المدارس، وقد دفعها هذا الأمر إلى الاتصال بهناء قبل مناقشة تقييمات المعلمات وتوزيع أنصبة التدريس عليهن –كما هو شائع في نهاية كلّ عام دراسيّ– لإخبارها وبلهجة حازمة: "يجب علينا أن نعفيك من عبء المهام التعليميّة بشكل جزئي".

أجابت هناء بحزم أيضًا: "مع فائق الاحترام لك، ولكن أعتقد أنّني أديت عملي بشكل فعّال ولا مسوّغ لاتخاذ هذا الإجراء، فما الذي جدّ؟ لماذا اتخذت هذا القرار المفاجئ؟".

أجابت سماح: "ستنقل الوزارة معلمتين متخصصتين في تدريس اللغة العربية إلى مدرستنا، وهما مبصرتان، وقدرتهما أكبر من قدرة معلمة تحتاج مساعدة في صفها، فلتتعدّي هذه الفترة فترة راحة مستحقة لك على جهودك التي بذلتها سابقًا".

قالت هناء بصوت لا يخلو من حدة: "لكنّني لم أشتكِ من التدريس. أنا أستمتع به كثيرا."

ردّت سماح: "لقد اتخذت قراري، وأقدّر تعاونك في هذا الأمر". كانت أمل، المرشدة الاجتماعيّة، تستمع إلى هذا الحوار، وقرّرت أن تتدخل وتدعم رأي المديرة الجديدة للمدرسة، وقالت بثقة: "لا تقلقي يا سماح، سأقنعها بذلك".

تعمل أمل مرشدة اجتماعيّة منذ أكثر من ٢٠ عامًا وكانت في مرحلة ما مديرة في مدرسة خاصّة، وقد فهمت سبب اتّخاذ هذا القرار وكيف سيكون ردّ فعل أولياء الأمور عليه. في نهاية المطاف، ليس من المعقول أن تعطى معلمتين مبصرتين بضع ساعات تدريسيّة، بينما تعطى معلّمة كفيفة

مهام تدريس كاملة، إضافة إلى ذلك كانت وجهة نظر المجتمع فيما يتعلق بالأفراد الّذين يعانون من إعاقة بصريّة بأنّهم لا يستطيعون العمل بفعاليّة في عالم المبصرين، غير أنّها بلا شك تقدر ما عانت منه هناء وكيف تمكّنت من التكيّف مع التحدّيات.

عندما غادرت المديرة المكتب، اقتربت أمل من هناء وقالت لها: "ألا تواجهين صعوبات عند التجوّل في الممرات مع انتهاء الحصص عندما تكون مكتظة بالطالبات؟ غالبًا كنت أراك تنتظرين أو تضطرين إلى طلب المساعدة من الطالبات ومن الزّميلات في هذه الأوقات".

أجابت هناء: "نعم، هذا صحيح، ولكنّني نجحت بذلك طوال السنوات العشر الماضية، لماذا هي الآن مشكلة؟"

ردّت أمل: "نعم، ولكنّه يأتي على حساب وقت الدّرس، وإذا تعرضت للأذى لأيّ سبب من الأسباب، فستكون المدرسة مسؤولة عن ذلك، وهذا الأمر لا يمكن أن تتحمل المديرة مسؤوليته، ثمّ فكري فيما يمكنك الحصول عليه في المقابل، ربما يمكنك الآن أن تطلبي مغادرة المدرسة قبل نصف ساعة من انتهاء الدوام، ولا تضطرين للانتظار حتى يغادر جميع الطلبة والزّملاء وخوض مغامرة في الانحدار من أعلى التل إلى طريقك للمنزل".

عقّبت هناء: "لقد طلبت هذا من قبل، لكن لم يسمحوا لي بذلك".

علقّت أمل: "لم تكوني حينها معلّمة بدوام جزئي، ولكنّك الآن كذلك، أنا متأكدة من أنّه سيسمح لك بذلك، فضلًا عن أنّك ستبقين في مهنة التّعليم، باستثناء حصولك على ساعات تدريسيّة أقل".

هنا أجابت هناء بصوت حادّ: "هل تقولين أنّه بعد كل هذا العناء الذي قمت به لإثبات جدارتي كمعلّمة، أصبحت الآن أقل كفاية وغير قادرة على أداء عملي بشكل فعال؟ هذا غير صحيح، وسيضرّ بحالتي كفرد كفيف قادر على العمل في مدرسة للمبصرين. ما الذي يمكن أن أقيّم عليه ما لم أدرّس؟ كيف سيقيّم أدائي؟ "

ضحكت المرشدة الاجتماعية وقالت: "لقد ذهبت بتفكيرك بعيدًا جدًا! ستقيّمين كأيّ معلمة أخرى، إلا أنّ ظروفك ستكون مختلفة – بعد كل هذا– فإن هذا هو واقع الحال".

تنهدت هناء وقالت بصوت يدل على أنّها مصممة على إيجاد حلول أخرى: "لا يمكنني أن أوافق على هذا الأمر، وأعلم أنّي لا أستطيع إيقاف القرار الآن، ولكنّي لن أستسلم أبدًا وسأبحث عن حلول أخرى".

الإيقاف عن التدريس

بدأ العام الدراسيّ الجديد، وكان الجميع مشغولين في إعداد خططهم وتقييماتهم، وكالعادة أعدّت هناء جميع الخطط والمراجع اللّازمة خلال العطلة الدراسيّة. خلال الأسبوع الأول من العام الدراسيّ الجديد، فوجئ الجميع بنقل المديرة سماح إلى مدرسة أخرى

واستبدالها بمديرة جديدة، اسمها نورا.

انضمت نورا للعمل مؤخرًا في المدرسة ولديها أكثر من (١٠) سنوات من الخبرة في مجال الإدارة المدرسيّة، لقد كانت ناجحة للغاية وعملت بشغف كبير لمعالجة عدة مشكلات سمعت عنها ورأتها في المدارس.

خلال الأسبوع الأول من العام الدراسيّ الجديد، عقدت اجتماعًا مع المعلمات، ورحّبت بهنّ ثمّ قالت: "أنا أتفهم أنّ المهامّ التدريسيّة لكلّ معلّمة قد وُزّعت في نهاية العامّ الماضي، ولكني سأوزع اليوم جدولًا جديدًا للمهام التدريسية الأسبوعيّة للمعلّمات؛ كي نتأكد من أن العمليّة التعليميّة تسير بسلاسة، وستثمر تقدمًا ونجاحًا لمدرستنا".

وفي هذا اللقاء أيضًا أُبلغت هناء بشكل رسمي بأنّها قد أُعفيت من التدريس بشكل كامل، وأنّ معلمة من اللاتي نُقلن مؤخرًا إلى المدرسة قد حلّت مكانها بشكل كامل.

كان الخبر ذا وقعٍ مؤلم عليها ولكنّها ردت قائلة: "هذا ليس عدلًا، لقد أُبلغتُ بأنني سأدرس، فلماذا لا توزّع المهامّ التدريسيّة بيننا؟"

عندها بدأت أصوات المعلمات ترتفع، قالت "فرح" وهي معلمة قديمة في المدرسة: "هناء" من أكثر المعلمات التزامًا ورعاية لطالباتها، لماذا هذا القرار؟"

وتمتمت بعض المعلمات بكلامٍ اتفقن فيه مع ما قالته المعلّمة فرح.

وقفت معلّمة أخرى تدعى "سارة" وقالت: "نعم، هناء معلمة مختصّة، لكنّها تعاني كثيرًا كلّ عام؛ لذا فهي تستحق الرّاحة والرّعاية ويجب مكافأتها وإعفاؤها من التدريس".

وقفت معلّمة كانت ابنتها طالبة لدى هناء في السّنة الماضية وقالت: "نعم فعلًا، الطالبات أصبحن مزعجات، وهناء لا تستطيع مجاراتهن، إنّها بحاجة إلى الرّاحة الآن".

وقالت معلّمة أخرى تدعى "تسنيم": "كيف هذا؟ هل تُكافأ إحدانا بسلبها ما تحبّ؟ هل مثل هذا يعدّ مكافأة؟".

في هذه الأثناء، تواردت أسئلة عديدة إلى ذهن نورا: "هل من الممكن أن يكون قرارها خطأ؟ ما الّذي يدفع المعلمات للمنافحة عن هناء؟ أليس من مصلحة الطالبات أن تدرسهن معلمة مبصرة؟

وجدت المديرة نورا نفسها في مأزق حقيقي.

أدركت أنّها يجب أن تتعامل مع هذا الموقف بحزم وصرامة، فقالت لهن: "قبل أن نتحدث عن العدل، أليس من العدل للمعلّمات اللّواتي عُيّنّ مؤخرًا أن يحصلن على خبرة وأن يستفدن من تجربة هناء؟"

أجابت هناء بسرور: "نعم، ولكن هل هذا خطئي، يا سيدتي؟"

قالت المديرة: "هذا ليس خطؤك، ولا خطئي أنا، لقد وضع جدول المهام التدريسيّة في العامّ السّابق، وكل ما يمكنني فعله هو العمل به".

توسلت هناء قائلة: "من فضلك لا تعفني من المهام التدريسيّة، سيعود هذا الأمر عليّ بالضّرر بل وعلى آخرين من ذوي الاحتياجات الخاصّة، لقد تمكّنت من أداء مهام عملي بشكل جيد، وأرجو ألا تحرميني مما أحبّه".

قالت المديرة بلهجة لا تخلو من الحزم: "كان ذلك ممكنًا في الماضي، أمّا اليوم فلا، وقد فات الأوان الآن فيجب أن نستعدّ للعامّ الدراسيّ الجديد، اسمعي يا هناء، في حقيقة الأمر ستحتاجين إلى رعاية إضافية بسبب حالتك، وقد تواجهين بعض المشكلات".

أجابت هناء: "مثل أيّ معلّمة أخرى، نعم، قد أواجه تحديات، ولكنّني مستعدّة للتغلّب عليها، وكيف يمكنني تغيير نظرة المجتمع لشخص كفيف إذا لم أتمكّن من التدريس؟".

ردت نورا بصوت حزين: "أنا لا أقلّل من احترام حقوق الآخرين. ما رأيك في الانضمام إلى جمعيّة الأشخاص المكفوفين للعمل هناك؟ إنّها ليست بعيدة عن المدرسة، وبإمكانك أن تدرسي فيها".

أجابت هناء: "لا يناسبني ذلك؛ لأنّ منزلي قريب جدًا من المدرسة والجمعيّة بعيدة جدًا عن المنزل، عندما توظفت في هذه المدرسة عملت بموجب القانون الّذي يسمح للمكفوفين بالتدريس في أقرب مدرسة من منزلهم"

هزّت المديرة رأسها بهدوء، وتركت هناء تتساءل كيف يمكن أن تتعامل مع هذا الموقف، أو إذا ما كان يجب عليها القيام بذلك.

أسئلة تأملية

- ما دور الأشخاص المؤثرين في تعزيز النّظرة الاجتماعيّة تجاه المعلّمين الّذين يعانون من إعاقة بصريّة أو غيرها؟
- ما الذي يجب أن تفعله هناء الآن؟
- ما الإيجابيات الّتي تتمتع بها وجهات النّظر المختلّفة التي عرضت في هذه الحالة؟
- ماذا كنت ستفعل لو كنت المدير في هذه المدرسة؟
- ماذا يعني بالنسبة لك أن تكون معلمًا من ذوي الحاجات الخاصّة وذي كفاية؟ وكيف يمكن أن تثبت ذلك بطرق مختلفة؟

العلاقات بين المدرسة المجتمع

بذهن تملؤه الأفكار والخطط والمشاريع والمبادرات الخلّاقة همّت سعاد بالانطلاق من منزلها، بينما كانت الشمس قد بزغت إيذانًا ببدء يوم عمل جديد. كانت تطلعاتها لمدرستها وأولوياتها تلمع في ذهنها باستمرار؛ فتارة ترتبها ثمّ تارة أخرى تنقضها ثم تبدأ من جديد.

> ولحظة اقترابها من المدرسة انقدح في ذهنها حوار داخلي قديم حدّثت به نفسها: "قبل أن تطلقوا أحكامًا اعتباطية على مدرستي، أو حتى قبل أن تكوّنوا صورًا مسبقة عن الكادر التدريسي، أرجوكم فلتحضروا! لكم الحرية بالتجوّل بين المرافق، ومقابلة الطلبة، والحديث إلى المعلمات!".

كانت سعاد قد أعدت هذه المقدمة في نفسها لتقولها لأهالي الطلبة المترقبين مدرستها الابتدائية "مدرسة طلال"، التي تضم (٤٥٠) طالبًا وطالبةً و(٢٥) معلمًا تقريبًا، مدرسة طلال جُمع فيها البنون والبنات في مدرسة واحدة من الصف الثالث وحتى الصف الخامس، في حين أن المدارس الأخرى فُصل البنون فيها عن البنات بعد الصف الثالث.

لم تلحظ المديرة سعاد مدى تشتت انتباهها أثناء قيادة سيارتها إلا عندما بدأت تقترب من مكان اصطفافها المعتاد، حمدت الله لوصولها بسلام، ودخلت المدرسة ولم تكن محمّلة بعبء أفكارها فحسب، بل بظروف مكدّسة وأعمال ورقية كانت قد أتمّتها في البيت.

المجتمع المحلي

دخلت سعاد مكتبها، وبدأت بإتمام الأعمال الورقية وفق ما هو مطلوب منها، ثم تفقّدت جدولها اليومي على وجه السرعة؛ إذ لا يمكنها أن تضيّع دقيقة واحدة من وقتها، وبمجرد أن التقطت قلمها لتدوين بعض الملاحظات، قُرع الباب معلنًا وصول زائرة إلى المدرسة، كانت الضيفة عائشة قد دخلت واستقبلتها المُساعِدة، وقدم لها واجب الضيافة.

> بعدما قدّمت عائشة نفسها للمديرة، استطردت قائلةً: "انتقلت منذ مدة وجيزة إلى هذا الحي، وأودّ نقل ابني لمدرستكم، هو في الصف الخامس لكنّني فضّلت زيارة المدرسة؛ لأستمع بصورة شخصية منك عن الأمور المهمة التي كنت قد سمعتها من أناس آخرين عن هذه المدرسة، وتحديدًا حول مؤهلات الكادر، وموضوع دمج الجنسين في المدرسة خصوصًا في الصف الخامس".
>
> سعاد مستفسرة: "هل لي أن أسال ماذا سمعتِ؟"
>
> ردّت عائشة: "إن أغلب المعلمات هنا بديلات، مما يعني أنّهن غير مؤهلات وتنقصهن الخبرة".
>
> كانت سعاد قد سمعت مثل هذا النقد سابقًا الأمر الذي جعلها مستعدة، وعندها ردّت: "سيدتي، هل لي أن ألفت انتباهك بالنظر إلى يسارك، حيث

تستطيعين ملاحظة اللوحة على الحائط والتي تحوي بعض المعلومات عن كادر المدرسة، والتي أتوقع أنّها كفيلة لطمأنة مخاوفك من أهلية كادرنا التعليمي. نحن نطلق عليها لوحة الملكات"

بدأت ملامح عائشة بالتغيّر، حينها علّقت سعاد: "لعلك وجدتِ الإجابة التي كنتِ تبحثين عنها"

ردّت عائشة: "نوعًا ما." ثمّ استطردت قائلة: "لكن سمعتُ أيضًا أنّ عدد الطلبة المنتسبين للمدرسة منخفض؛ بسبب مخاوف الأهالي من موضوع الدمج بين الجنسين، أهذا صحيح؟"

ردّت سعاد: "نعم سيدتي، صحيح؛ إنّ المدرسة قد بدأت بعدد قليل من الطلبة، لكن مع عملنا الحثيث، وبمساعدة مديرية التربية والتعليم، أصبح لدينا عدد أكبر من الطلبة وهو في ازدياد، أما ما يساورك من مخاوف حول الدمج بين الجنسين، فإن لدى البنين والبنات غرفًا صفية منفصلة، لكنّنا من حين إلى آخر نقيم نشاطات تضم الجنسين كليهما، والتي أظنّ أنّها مفيدة لهم، إذ ستكون خطوة أساسية للمستقبل حينما يلتحقون بجامعات مختلطة."

احتدّت عائشة؛ فقد كان من الواضح أنّ لديها بعض التحفظات على المدرسة، وأضافت: "أشكرك على هذه التوضيحات، ولكنّني أودّ التنويه، إنّه يجب عليك الانتباه أكثر لهذا الموضوع، خصوصًا أنّه يشكل هاجسًا عامًا في مجتمعنا المحافظ، وإذا كان مناسبًا لك فما يزال لدي بعض الأسئلة حول تأثير مسألة الدمج بين الجنسين على تعليم ابني..."

سوء فهم

كانت المديرة وعائشة قد وصلتا إلى نهاية حديثهما تقريبًا عندما لاحظت سعاد وجه إحدى المعلمات والقلق بادٍ عليها أثناء مرورها، حينها لم تتردّد سعاد أن تطلب منها الحضور: سارة، هل لكِ بالتكرّم بالانضمام إلينا؟

دخلت المعلمة، وحيّت كلًّا من المديرة وعائشة، سألت سعاد: "ما خطبك يا سارة؟ تبدين مضطربة هذا الصباح."

ردّت سارة: "لا، ليس هنالك خطب على الإطلاق، ربما مسألة صغيرة، وبمشيئة اللّه ستكون الأمور بخير."

ألحّت سعاد على سارة: "أرجوك فلنسمع منك." نظرت سارة إلى ناحية عائشة، عندها تابعت سعاد لتطمئنها قائلة: هذه عائشة، وأعتقد بأنّه يمكنني القول: "إنّها وابنها قد أصبحا جزءًا من عائلة المدرسة، أليس كذلك؟" بالكاد أومأت عائشة بالرّد، عندها تابعت سعاد: "لذا، إن لم يكن موضوع القلق أمرًا خاصًا أو عائليًا، فأنا متأكدة بأنّ سارة لن تمانع من تزويدنا ببعض التوجيهات حول كيفية تعامل كادرنا مع المشكلات."

قالت سارة وهي مطرقة نظرها إلى الأرض: "لا، ليس بالضرورةأن يكون أمرًا خاصًا، أظنّه أمر يخصنا جميعنا هنا في المدرسة".

سعاد تنحني مقتربة من سارة قائلة: "ألا وهو؟"

أكملت سارة قائلة: "كنت بالأمس في زيارة إحدى صديقاتي في المستشفى، ودار حوار بين إحدى قريبات صديقتي وعائلتها حول موضوع الدمج بين الجنسين، وانتقدت عملي وموقف مدرستي حيال الأمر بقسوة موجعة، بل قالت: إنّها شجعت بقية الأهالي على عدم إرسال أبنائهم لمدرستنا!"

أردفت عائشة قائلة: "نعم، بالضبط، هذا ما كنت أسمعه!"

سألت سعاد: "وهل شاركتِ بالمحادثة؟"

ردّت سارة: "لا، لم أردّ... لم أعلم ما أقول وقتها!"

في هذه المرحلة، كانت سعاد قد أحست بالانزعاج؛ لسماعها بأن مدرستها التي عملت فيها جاهدة تتعرض للهجوم.

لكنّها قالت: "برأيي، كان يتوجّب عليكِ مناقشة ما قالت أمام الحضور؛ فمن المهم الدفاع عن مدرستنا والحقيقة"

ردّت سارة، وبشيء من الحدّة: "مع كل الاحترام، أظنّ أنّ الردّ على معتقداتها كان من الممكن أن يصعّد الموقف، ولم أرغب في تأجيج حوارات عقيمة، خصوصًا في حضرة صديقتي المريضة، في الواقع لقد غادرت لإحساسي بضيق شديد من الموقف كليا".

إضراب المدرسة

بصوت مرتفع بدأت سعاد بالتفكير مع كل من سارة وعائشة: "نحتاج للبدء بمواجهة هذه الإشاعات وإلقاء الضوء على مزايا مدرستنا التعليمية والأكاديميّة. فكيف باستطاعتنا الردّ على انتقادات الدمج بين الجنسين بأسلوب لا يتعارض مع عُرف المجتمع المحلي؟ وفي الوقت نفسه لا يكون على حساب قيمنا؟"

قطعت أصوات مفاجئة قادمة من الرواق تيار أفكارها؛ إذ وجدت مجموعة من الطلبة يتحلقون حول سوسن نائبة المديرة.

أحست سعاد بأجواء القلق. فخرجت تسأل: "ما الخطب؟ ما الذي يحدث؟"

سوسن وهي تلتقط أنفاسها: "هؤلاء الطلبة يرغبون بمغادرة المدرسة والانتقال إلى مدرسة أخرى!"

الطلبة ردوا بإصرار جماعي: "ضقنا ذرعًا من الحديث المتداول في المجتمع، والتذمر حول ارتيادنا مدرسة تجمع بين الجنسين. حتى أهالينا قد سئموا

من هذه النظرة السلبية".

ردّت المديرة، وهي تفكر سريعًا: "وما الحلّ برأيكم؟"

ردّ الطلبة بسخط: "أليس واضحًا؟ نريد مغادرة المدرسة والانتقال إلى مدرسة أخرى بسبب المجتمع!"

كانت سعاد منزعجة، عندها قالت: "تعلمون أنّ هذا ليس حلًا! يجب عليكم التمسك بما تؤمنون به! يجب عليكم مواجهة من ينتقدكم بعزم وإصرار، وبغض النظر عما يمكن أن يتناهى إلى مسامعكم."

الطلبة بصوت واحد: "لكنّ الانتقاد يجعل الأمور صعبة علينا. إنّه موجع"

استجمعت سعاد أفكارها قائلة: "لا أستطيع القول إنّه أمر هيّن، خصوصًا لصغار السن مثلكم، لكن عدم القدرة على إيجاد حل سريع لا يعني الاستسلام! إنّني أعمل والمعلمين جاهدين لإيجاد حلول لهذه المسألة. وفي الوقت الحالي أطلب منكم وبلطف العودة إلى أنشطتكم".

كان انفعال الطلبة في هذه اللحظة قد تبدّد، وقد عادوا لأنشطتهم تاركين لسعاد الرجوع لمكتبها.

كان من الواضح أنّ الحوار قد تناهى إلى مسامع عائشة وسارة، فعلّقت عائشة: "أظنّ أنه قد حان وقت ذهابي، أنا شاكرة جدًا لحسن ضيافتكم، وأود الثناء على مساعيكم وعقلانيتكم المنفتحة لتقبل الحوار والنقد."

ردّت سعاد بنبرة لطيفة: "مرحبا بكِ في أي وقت، طبعًا هي مدرستك ومدرسة المجتمع، ودومًا سنقدّر عاليًا آراءكم واقتراحاتكم ونثمنها".

غادرت الزائرة، وكان واضحًا أنّ موقفها لم يختلف كثيرًا عما كان عليه عندما حضرت في البداية.

المشاكل لا تنتهي

في وقت متأخر من اليوم نفسه كانت سعاد قد مرّت بالقرب من استراحة المعلمين عندما سمعت نقاشًا بين بعض المعلمات.

نجوى، التي كانت مسؤولة عن الأنشطة اللامنهجية انضمت إليها أسماء، مدرّسة الرياضيات. سألت أسماء: "إذًا ما حال الأمور في قسم النشاطات اللامنهجية؟ كيف يجري التخطيط لرحلة العاصمة؟"

ردّت نجوى: "الحمد للّه، الأمور كلّها على ما يرام، لكن لا يخلو الأمر من عقبة أو اثنتين، أحيانًا بعضها بسيط، وأحيانا بعضها..."

وقبل أن تكمل نجوى حديثها، رنّ جرس هاتفها المحمول، بلطف استأذنت أسماء؛ لتردّ على المتصل:

"مرحبا"، "نعم، أنا نجوى رئيسة قسم الأنشطة اللامنهجية، مع من أتحدث لطفًا؟"

سعاد التي كانت تحضّر قهوتها، استطاعت الاستنتاج بأنها إحدى الأمهات، وانطلاقًا من الاضطرابات مؤخرا في آراء الأهالي، لم تستطع أن تمنع نفسها من متابعة المحادثة.

بدأت الأم (على الخط الآخر) بالحديث، عندها دقّقت سعاد بكلام نجوى وما استطاعت سماعه من كلام الأم؛ لتفهم بأن الاتصال كان يتعلق بالرحلة المدرسية المرتقبة للعاصمة، وقد أولت انتباهًا شديدًا لردود نجوى: "نعم، الرحلة الميدانية ستجمع كلًا من البنين والبنات...

نعم... نعم... ردّت الأم.

"المعذرة منك؛ لأنّي أدرك أنّك اضطررت لمواجهة أقوال وآراء صديقاتك عن تعليم ابنك في مدرسة مختلطة". عقّبت نجوى.

"لا. نحن نشجع بقوة انضمام الطلبة لمثل هذه الرحلات كونها دورة تدريبيّة لهم في بعض المهارات الحياتية التي لا يمكن الحصول عليها داخل الغرفة الصفية".علّقت الأم.

نجوى: " أنا أتفهم، طبعًا. و سيكون لديه ما يكفي من الوقت للتحضير لامتحاناته حتّى وإن شارك بالرحلة... ".

تبع ذلك حوار طويل ومبهم مع الأمّ، وقد بدت معالم التوتر على ملامح نجوى، وعندما فرغت الأم من الحديث، أردفت نجوى: "أنا أتفهم الأمر، يمكنك محادثة معلمات ابنك فالأمر متعلق بهم، وأنا أيضًا أستطيع أن أخاطب الإدارة إذا رغبت".

كان هنالك صوت يشي بانقطاع الخط من الطرف الآخر.

"ما الذي جرى؟" سألت سعاد بترقب.

ردّت نجوى: "أغلقت الخط".

دون أن تبالي بفكرة أنّها كانت تسترق السمع، سألت سعاد: " بالنهاية، ما الّذي كنتم تتحدثون عنه؟"

ردّت نجوى: " إنها تظن بأنّ علامات ابنها دون المستوى الذي كانت عليه بمدرسته القديمة، وتظنّ أنّ الدمج بين الجنسين في المدرسة هو سبب تراجعه ".

أوشكت سعاد أن تفقد أعصابها.

مواجهة التحديات

خلال اجتماع الكادر التعليميّ في نهاية اليوم المدرسي وإلى جانب الحديث عن أمور

المدرسة والعملية التعليمية، تطرق جدول الاجتماع للتحديات الضاغطة من المجتمع المحلي وموقفها من المدرسة.

قدّمت بعض المعلمات اقتراحات وأنشطة تواصلية؛ لإظهار صورة المدرسة للمجتمع. لكن، اتضح لاحقًا أنّ بعضهن يشاركن المجتمع في المواقف نفسها، حينها أيقنت سعاد بأنّه لا بدّ من تحقيق إجماع على الرأي في المدرسة بغية تقديم رسالة واضحة للمجتمع.

عندها دخلت سكرتيرة المدرسة غرفة الاجتماعات بشيء من العجلة.

أخذت سعاد جانبًا، وقالت لها ونفسها يتقطع: "هاتفني مدير التربية والتعليم قبل دقيقة، وهو يطلب إليك الحضور لاجتماع مهم في مكتبه غدا لمناقشة تقدّم المدرسة".

وأضافت السكرتيرة: "لقد قال: إنّ بعض الأشخاص في المجتمع المحلي قد تقدّموا بشكوى عن المدرسة".

ردّت سعاد: "طبعًا، قد فعلوا".

أسئلة تأملية

- كيف ينبغي للمدير معالجة الفجوة بين آراء المجتمع (بما في ذلك آراء الطلبة) بشأن المدرسة وما يشعر به هو في الواقع؟
- هل ثمة ما يجب على المعلمين القيام به لمعالجة القلق المتزايد بشأن جودة التعليم في المدرسة؟
- ما دور المدرسة في تغيير منظور المجتمع حول النوع الاجتماعي والاندماج بين الجنسين في المدارس؟
- إلى أي مدى يجب أن تكون المدرسة حساسة ومستجيبة لثقافة المجتمع وآرائه؟

غياب مُبرر

كان صباح اثنين مشرق من أيام شهر تشرين الأول، إذ دفء أشعة الشمس يشحن الهواء بالحياة. استيقظت ليلى في ذلك الصباح الباكر مفعمة بالطاقة. وأخيراً، اليوم موعد مجلس الآباء.

كانت ليلى مديرة مدرسة صغيرة إلى حد ما تسمى "مدرسة الجيل الجديد"، تقع في قرية شمال الأردن حيث كان سكانها يعملون في المزارع القريبة ، ولم يكن لديهم الكثير من الخبرة في التعليم الرسمي. كان عدد طلبتها (١٤٠) طالبًا وطالبة، مع (١٣) معلمًا. كان المبنى الصغير مستأجرًا وفيه بالإضافة إلى المرافق الاعتيادية للتدريس مختبر حاسوب، وساحة صغيرة أمام المدخل.

بدأت ليلى يومها كعادتها بتناول قهوتها. وللمرة الأولى، ستلتقي أخيرًا بمجموعة أولياء الأمور. ذهبت إلى مكتبها مستعدة، فقد أعدّت ملابسها في الليلة السابقة، واستعدت لخطاب الترحيب بأولياء الأمور.

ولغايات التجهيز للاجتماع ووضع جدول للجميع، جعلت ليلى الدوام الدراسي لمدة نصف يوم؛ ليكون الاجتماع بعد الدوام في فترة ما بعد الظهر، وحرصت على التأكد من أن كل شيء أعدّ بشكل جيّد، من منطقة الاستقبال إلى الممرات و أماكن الجلوس. كما أعدت نشرات لتمريرها إلى أولياء الأمور حول الدور الرئيسي الذي يلعبه الآباء في العملية التعليمية، انتصف النهار، وليلى جالسة بصبر في انتظار وصول أولياء الأمور، ولكن لم يأت أحد.

وجه جديد لمدرسة الجيل الجديد

كانت ليلى معتادة على مواجهة التحديات، ولحسن الحظ وضمن هذا السياق، لاحظت ليلى منذ البداية أنّ هذه المدرسة لا تنقصها التحديات؛ فقد كانت نتائج غالبية الطلبة متدنية في الاختبارات التحصيلية في المواد كلّها. ولم يكن هناك أي علاقة بين المدرسة وأولياء الأمور، إذ لم يكن هناك أي وجود مجتمعي في المدرسة على الإطلاق.

> في اليوم الأول من المدرسة، تجولت ليلى في أنحاء المدرسة لتفحص مرافقها،حيث وجدت كثيرًا من المرافق تحتاج إلى صيانة؛ فبعض الأبواب مهترئة، وبعض النوافذ في حالة سيئة، والطلاء يتقشر عن الجدران كجذع شجرة نخيل. في أثناء تلك الجولة، سجلت قائمة للصيانة وتساءلت حول الحلول الممكنة للقيام بها؛ إذ إنّ ميزانية المدرسة لا تتحمل عبئًا ماليًا كهذا، فقد كانت مصممة على تقديم الدعم الجسدي والعقلي والعاطفي لتحسين المدرسة وتعزيز رعاية طلبتها قدر وسعها وطاقتها. بعد النظر إلى القائمة في مكتبها، بدأت تفكر بصوت عالٍ: "إنّها ليست بهذا السوء يمكنني فعل ذلك، مع أنّ الأمر سيستغرق بعض الوقت، وكثيرًا من مساعدة الناس".

بالإضافة إلى رؤيتها مرافق المدرسة، كان طموح ليلى الأكبر يتمثل في كيفية تعاملها مع

تطوير مدرستها تطويرًا شاملًا. فوزارة التربية والتعليم في الأردن تعتمد على كل مدرسة لصياغة خطة التنمية الخاصة بها، والتي ينبغي أن تسلط الضوء على خطط عمل الإدارة للنمو خلال السنوات القادمة، ويجب أن تتناول كل خطة أربعة جوانب رئيسة هي: التعليم والتدريس، وبيئة الطلبة، والمدرسة والمجتمع، والقيادة والإدارة.

أرادت ليلى أن يكون للمعلمات والطلبة وأولياء أمورهم دور في وضع هذه الخطة، ليكونوا شركاء في تحديد التحديات وشركاء أيضًا في اتخاذ خطوات لحلها، وقد أعربت ليلى غير مرة عن أملها في أن يتحمل الجميع مسؤولية مشتركة تجاه تنفيذ الخطة، لم تكن تؤمن بقيمة هذه الشراكة فقط، ولكنّها شعرت أيضًا أن هناك حاجة ماسة إليها لتحسين تعلم الطلبة بفاعلية.

من أجل البدء في تحديد الأولويات التطويرية للمدرسة، اعتقدت ليلى أن توزيع الاستبانات على المعلمين والطلبة وأولياء الأمور فكرة جيدة، وبالتالي كان اجتماع أولياء الأمور والمعلمين بمثابة مناسبة مثالية لتطبيق الاستبانة. في مجلس أولياء الأمور استطاعت ليلى بناء علاقات إيجابية معهم، وكسبت دعمهم للمعركة الشاقة القادمة لتحسين مرافق المدرسة، كما تمكنت أيضًا من شرح الاستبانات والغرض منها بشكل كامل. كانت متحمسة للاحتمالات جميعها؛ إذ علمت أنّ هذا الاجتماع قد يكون فرصة ممتازة لمساعدة أولياء الأمور على الشعور بأهمية مشاركتهم في رحلة التعلم الخاصة بأبنائهم.

بدأت التحضير للاجتماع، وقد أخبرها المعلمون ذوو الخبرة في المدرسة أنّ هذا النوع من اللقاءات لم يحدث من قبل. ففي العادة لا يحضر أولياء الأمور الاجتماع إلا نادرًا. هذا التحدي لم يغرق ليلى بالإحباط بل شجعها أكثر لفتح آفاق جديدة مع أولياء الأمور؛ إذ كلما زادت الاستعدادات التي تقدمها ستكون قطعًا أكثر حماسة لرؤية وجوههم وقد غدو جزءًا من هذا التعاون.

لم يحضر أحد

مضت ساعتان على الموعد المحدد للاجتماع ولم يحضر أحد من أولياء الأمور، بدأت ملامح الاستهجان والتوتر تظهر على ليلى وهي تحدث نفسها قائلة: "أيعقل هذا!!... لم يحضر أحد، ما المشكلة؟"

تساؤلات كثيرة تدور في رأس ليلى... إلى أن بادرت "سلمى" وهي إحدى المعلمات القديمات في المدرسة قائلة: "لماذا أنت متوترة؟!!"

سلمى: "هذا الشيء متوقع؛ فقد اعتدنا على عدم حضور أولياء الأمور إلى المدرسة، وهذا بصراحة شيء إيجابي".

أضافت "ميس" وهي معلمة أخرى قائلة: " نحن نفضل عدم حضور أولياء الأمور إلى المدرسة؛ لأن ذلك سيؤدي إلى إرباك في المدرسة والغرف الصفية" وتابعت قائلة: "عند حضور أولياء الأمور ستزداد المشاكل بينهم وبين المعلمات ونحن لا نريد ذلك".

نظرت ليلى إلى المعلمات وبدأت بالتفكير فيما قالته كل واحدة منهن وهنا حدثت نفسها قائلة: "هل يعقل أن يكون عدم حضور أولياء الأمور شيء إيجابي؟!!! " وهنا بادرت بطرح سؤال على معلماتها كرد فعل على ما

سمعته من بعضهن وقالت: "هل جميعكن تؤيدن ما ذهبت إليه المعلمتان (سلمى و ميس)؟".

أبدت بقيّة المعلمات التأييد لما طُرح، وأضفن أنّه من الأفضل عدم مراجعة أولياء الأمور للمدرسة لأن ذلك ينقذها من الفوضى، ويضع حدًا لعدم إضاعة الوقت في استقبالهم ومتابعة ملاحظاتهم، وتحمل تذمرهم حول ما يطرحون.

برزّت إيمان – وهي معلمة مر على عملها في المدرسة سبع سنوات– ذلك بقولها: " ليلى، أنت تعلمين أنّ مهنة التعليم مهنة صعبة، والتعليم هو مهمتنا وليست مهمة أولياء الأمور. مديرتنا العزيزة، نحن معجبون بحماسك نحو التغيير، وخاصة عندما بدأت بإشراك المعلمات والطلبة في التخطيط لهذا التغيير ووضع أهدافه، ولكن الوضع مختلف مع أولياء الأمور، بصراحة نحن كمعلمات أعددن لهذه المهنة ولكن أولياء الأمور ليسوا كذلك".

تابعت سلمى قائلة: "كما أن بعض أولياء الأمور غير متعلمين. وسيكون من الصعب عليهم، بل سيكون محرجًا لهم مساعدة أبنائهم في التعلم؛ حيث إنّهم لم يتعرضوا لهذه الخبرة بأنفسهم. هم يعلمون ذلك، وقد وصلتهم بطاقات الدعوة فلو كانت لديهم النية في الحضور لحضروا".

كان هذا وضعًا جديدًا بالنسبة لليلى لم تعتده سابقا. صحيح أنّه كان هناك بعض المشاكل بين المدرسة وأولياء الأمور، في المدارس التي خدمت بها سابقًا، إلا إنّه بشكل عام كان هناك نوع من الدعم والتعاون بينهم وبين المدرسة.

لاحظت "ميس" أن المديرة لم تقتنع بهذا الكلام. فقالت: " حتى عندما يأتي أولياء الأمور إلى المدرسة بنية حسنة، فإنّ حضورهم يؤدي إلى بعض التعقيدات؛ فغالبًا ما يرغبون في الحديث مع المعلمة التي تدرس أبناءهم مما يؤدي إلى تأخرها عن صفها وهذا يعني أنّ إحدى زميلاتها يجب أن تجلس في الصف مكانها، وهذا يؤدي إلى نقص في الوقت المخصص للحصص الصفية من المعلمتين وهو أصلا وقت محدود ".

ردت سلمى: "ميس هذه طريقة لطيفة في الكلام حول حضور أولياء الأمور، ولكن في بعض الأحيان يأتي بعض أولياء الأمور إلى المدرسة محتدّين على الهيئة الإداريّة والتدريسيّة؛ بسبب درجات أبنائهم أو بسبب سوء سلوك أحدهم. فكيف يمكن للمعلمة أن تقوم بالتدريس في ظل مثل هذه الظروف؟".

استمر نقاش المعلمات حول هذا الموضوع. وفي خضم هذا الحوار لمع في ذهن ليلى تلك الصدفة التي جمعتها مع والدة أحد الطلبة أثناء تسوقها في محل تجاري قريب من المدرسة، وذلك قبل أسبوع من بدء العطلة الصيفية العام الماضي. لقد سمعت ذلك الطالب وهو يخاطب والدته : "إنها المديرة الجديدة يا أمي"، وحينها تقدمت الأم نحوها وقالت:" مدرستك ليست مدرسة ترحيبيّة ولا تحبّ معلماتك التعامل معنا ولا يفضلن حضورنا، كما أنّهن لا يرغبن بالتعاون معنا عندما كنا نأتي إلى المدرسة في الماضي". وبعد تنهيدة طويلة أضافت الأم: "إنّ هذا الرأي لا أتبناه وحدي وإنّما تشاركني

فيه أمهات أخريات في هذه المنطقة". عندما تذكرت ليلى ذلك الحوار أطرقت مليًا، وبدأت تتفهم سبب عدم حضور أولياء الأمور والمعضلة التي تعيشها هي ومدرستها!

كل هذا الحوار الذي يدور، ووجهات النظر التي تُطرح وتؤيد ما أسلفت به المعلمات يثير الدهشة والاستهجان في نفس ليلى، ويكاد يحبطها، وفي الوقت ذاته أبدت المعلمة سلمى رغبتها بالحديث قائلة: "أود إضافة أمر ما" وعلى الفور قالت ليلى: "تفضلي، نحن نسمعك".

قالت سلمى: "توسمت خيرًا بقدومك، وأعجبني حماسك تجاه التغيير الذي أعدّه إيجابيًا وأتوق إليه، وذلك عندما بدأت جولتك في مرافق المدرسة في نهاية العام الماضي ووعدتنا بالتغيير للأفضل، وأنك ستبذلين جهودًا حثيثة بما سيخدم العملية التعليمية في العام الجديد، ولقد استبشرنا خيرًا عندما أشركت المعلمات في عملية التخطيط لتحديد الأهداف والأولويات اللازمة لغاية التحسين وتجويد العمل، فهذه جهود مثمرة نقدّرها وهو شيء جديد –نوعًا ما– يحصل هنا، ونحن متحمسات لأن نكون جزءًا منه، ولكن عندما يتعلق الأمر بإشراك أولياء الأمور فإنّنا مازلنا نصرّ على رأينا ذاته وأنهم سيعقّدون عملنا ويزيدون الطين بلة ولن نستفيد من حضورهم أبدا".

ليلى: "ولكن مهلًا، إنّني سأحاول في الاجتماع أن أوضح لهم الحاجة إلى دورهم وأهمية علمهم بمشاكل أبنائهم وأسبابها وكيفية حلّها، كما أنّني أحتاج سؤالهم عن بعض الأشياء التي تهمّ أبناءهم مثل: ميولهم ورغباتهم واستعدادهم نحو التعليم. إنّنا بحاجة أيضًا أن نعرف البيئة التي يعيش بها الطلبة وهل هي مناسبة أم لا، وعن وضعهم الاجتماعي والأسري. إنّكنّ جميعًا تتذمّرن من انخفاض تحصيل الطلبة ومستوى أدائهم بشكل عام. فيكف برأيكن سنحل هذه المشكلة إن لم نجد سبيلًا للتواصل مع أولياء الأمور؟

هزت معلمتان رأسيهما إقرارًا واتفاقا مؤكدتين صحة كلام المديرة، ولكن في الوقت ذاته كانت الأغلبية منهن ما زلن مصرات على رأيهن أن حضور بعض أولياء الأمور قد يعقّد الأمور.

أما "راية"، وهي إحدى المعلمتين اللتين وافقتا رأي المديرة، فقد أعادت بصيص الأمل إلى قلب المديرة حيث قالت: "أنا أوافق وأقدّر ما قالته مديرتنا؛ فنحن بحاجة إلى أن يحلّق أولياء الأمور على متن طائرتنا وأن نسير في مركب واحد أيضًا لنحصل على أفضل النتائج. فلدي وجهة نظر مغايرة تمامًا عن وجهة نظر زميلاتي؛ لأنّ لدي ما يسوّغ ذلك فكما تعلمن أني أدرّس طلبة الصف الأول الأساسي، وكم كنت أعاني من غياب تواصل أولياء أمورهم مع المدرسة ومعي أنا تحديدًا ... حاولت التواصل مع بعضهم ليكونوا على اطّلاع بالمشاكل التي تحدث مع أبنائهم أو التعرف إلى أسباب هذه المشاكل، واحتجت للاستفسار عن بعض الأمور التي تخص أبناءهم في هذه المرحلة العمرية الحرجة أيضًا؛ فلا أحد أفضل من الوالدين ليشرحا وضع ابنهما، ولكن

للأسف لم يتعاون معي أحد. ولم أنجح في تحقيق هذا الاتصال والتواصل.. لكن اليوم وأنا أمام حماسكِ أؤكد بأنّني على استعداد لبذل مزيد من الجهد معك؛ لتغيير الوضع نحو الأفضل. إنّه موضوع بالغ الأهمية، وسيحل مشكلة كبيرة أعانيها، وسيساعدني في تفهم طلبتي أكثر ومساعدتهم في رفع مستوى أدائهم؛ لأنّ أفضل شخصين يشرحان لكم وضع ابنهما الصغير هما الوالدان كما أخبرتكن سابقًا".

هذا التصريح الذي باحت به راية غيّر ملامح "ليلى" وبدت على وجهها علامات الرضا والارتياح؛ فهناك من يتفهم الدور الحقيقي للمدرسة، وأنّها ليست مجرد مكان لتلقي المعرفة والعلوم فقط، وإنّما هي المكان الذي يتعاون فيه المدير والمعلمون وأولياء الأمور والطلبة أنفسهم من أجل بناء شخصية متكاملة معرفيًا ومهاريًا وقيميًا ليكونوا هم أجيال المستقبل القادرين على التغير نحو الأفضل والقادرين على الاندماج في مجتمعهم وبنائه وتطوره.

وأكدت على ذلك ربا وهي المعلمة الثانية التي اتفقت مع رأي ليلى. فقالت ربا: "عندما يكون لأولياء الأمور دور مكمل ومساعد لدور المدرسة في تعلم أبنائهم فعلى الأقل ستختفي بعض المشكلات في الغرفة الصفية".

"هيا لنكن جديين" هكذا قالت إيمان محتدة؛ "نحن نعرف أنّ كثيرًا من أولياء الأمور تلقوا تعليمًا محدودًا، وسيكون من الغباء أن نعتمد عليهم في تدريس أبنائهم".

وهنا عادت ليلى لتتابع كلامها: "أنا أتفق مع ربا. يمكننا الاستفادة من أولياء الأمور الذين لديهم حد معين من التعليم في مساعدة أبنائهم، وخاصة طلبة الصفوف الأولى. كما يمكننا الاستفادة من معرفتهم بأبنائهم وسلوكاتهم في البيت، فمن الذي يعرف الأطفال أكثر من والديهم؟".

وهنا تدخلت راية مضيفة: "يمكن فعلًا أن يكون المجتمع المحيط بالمدرسة مجتمعًا فقيرًا، ولكن أولياء الأمور يمكن أن يساعدوا المدرسة أيضا بصيانة المباني من خلال خبراتهم وقدراتهم الشخصية. أنا على سبيل المثال أودّ لو أن نوافذ الغرفة الصفية صالحة وليس فيها أي خلل".

سلمى، التي لا زالت تعارض فكرة استقبال أولياء الأمور في المدرسة، أصرت قائلة:

"لا أحد يعارض فكرة أن أولياء الأمور هم الأكثر معرفة بأبنائهم، أو أنّ بعضهم يستطيع إصلاح النوافذ. كل ما أقوله إنّه ليس باستطاعتنا اختيار من سيحضر إلى المدرسة منهم، ومتى، عمومًا، عندي إحساس أنّه كلما زاد عدد أولياء الأمور الذين يحضرون إلى المدرسة زادت التعقيدات التي تمنع تقديم التدريس الأفضل للطلبة".

خدمة ليلى الطويلة نسبيا في قطاع التعليم والمدارس كانت كافية لتتفهم شعور الإحباط الذي تشعر به سلمى والعديد من زميلاتها. ولكنها تمتلك مهارات اجتماعية جيدة مما جعلها تعرف أنّ أفكارها تتعارض مع غالبية المعلمات بصفتها مديرة المدرسة، . ومع

ذلك فإنّها كانت تعتقد وتؤمن أن الدور الحقيقي للمدرسة ليس فقط نقل المعرفة إلى الطلبة. لكن دورها وغايتها يتمثلان – كما تعتقد ليلى– في تضافر جهود المدير والمعلمين وأولياء الأمور والطلبة وتعاونهم لبناء مجتمع مدرسي محفز لجيل المستقبل.

ومع نظرات المعلمات إليها كانت ليلى تفكر بعمق في الكلمات التي يمكن قولها بعد ذلك.

أسئلة تأملية:

- ناقش أهمية الثقافة الترحيبية في المدرسة.
- ماذا يمكن للمدرسة أن تعمل لتكون مدرسة مرحبة بأولياء الأمور؟ هل هناك ما يسمى بالترحيب المفرط؟
- ما الأولويات التي يجب على ليلى القيام بها في المدرسة باعتبارها قائدة تربوية؟
- ما أهم وجهات النظر التي طرحتها المعلمات حول علاقة المدرسة مع أولياء الأمور؟ وأي وجهة نظر تؤيد؟ ولماذا؟
- لو كنت مكان "ليلى" كيف يمكنك العمل على رؤيتك للمدرسة كي تبدو متصالحًا مع حقيقة أنّك لا ترغب أن تبدو غريبًا عن فريق مدرستك؟

عائلتي أم مبادئي؟

> ظل صدى كلمات والد هبة يتردد في ذهن أغادير: "اتركي بناتنا وشأنهن. ليست لديكِ أدنى فكرة عما تفعلينه هنا! لِمَ لا تتوقفين عن غرس أفكار غريبة في رؤوسهن وتعودي من حيث أتيتِ؟"

لطالما آمنت أغادير بأهمية أن يحظى الجميع بفرصة الحصول على تعليم جيد، غير أنها تعتقد اعتقادًا راسخًا بأنه لا ينبغي تقديم أي معرفة على طبقٍ من ذهب، إذ يتوجب على المتعلمين العمل بجد لاكتساب هذه المعرفة بأنفسهم إذا ما أريد أن تعني لهم شيئًا.

في تلك اللحظات وبينما كان أطفال أغادير يغطّون في النوم، ظلت تلك الأفكار تدور في ذهنها وهي تتقلب في سريرها بعد أن غادرها النوم.

أغادير يونس

تُعرف أغادير يونس البالغة من العمر (٤٠) عامًا بقوة إرادتها وصلابتها، فقد نجحت هي وشقيقاتها الأربع، كلٌّ في مجال عملها، وترى أغادير أن مرد هذا النجاح هو تركيز أسرتها على أهمية حصول المرء على التعليم، وهو التركيز نفسه الذي دفعها لأن تصبح معلمة رياضيات. وعقب تخرجها من الجامعة، شغلت أغادير وظائف تعليمية مؤقتة مع برامج تختص بتعليم اللاجئين، إلى جانب العمل في مدارس خاصة لمدة خمس سنوات. وبعد طول انتظار، عيّنت أغادير في وظيفة معلم دائم في إحدى مناطق شمال الأردن، وسرعان ما عثرت هي وزوجها خالد على منزل قريب من مكان عملها الجديد.

ونظرًا لأن خالد كان يعمل في العقبة، أقصى جنوب الأردن، لم يكن بمقدوره العودة إلى منزله ورؤية أسرته إلا في عطلة نهاية الأسبوع. وفي هذه الأثناء، كانت أغادير تحاول التكيف مع وظيفتها وبيئة العمل الجديدة، ناهيك عن رعاية أسرتها معظم أيام الأسبوع. وفي الوقت الذي بدت فيه مهمة إيجاد نوع من التوازن بين العمل والحياة الأسريّة صعبة بعض الشيء، لم تألُ أغادير جهدًا لضمان أن تحظى بناتها ببيئة منزلية مستقرة وآمنة وصحية. ولأن أغادير تتمتع بشخصية قوية اكتسبتها من والدها، حرصت على أن تغرس في بناتها قناعة بأنّهن قادرات على تحقيق أحلامهن بالعمل في الوظيفة التي يرغبن بها عندما يكبرن.

بدأت أغادير العمل في مدرستها الجديدة، "مدرسة الواحة"، وكلها حماس بغرس الحافز والتشجيع المطلوب في نفوس طالباتها .

مدرسة الواحة

تقع مدرسة الواحة في حي الشموع، الذي يُعدُّ واحدًا من أقدم أحياء المدينة، نسبة كبيرة من سكان هذا الحي من البلدان المجاورة، ويتكون مبنى المدرسة من ثلاثة طوابق تتوفر فيها مرافق حديثة، بما في ذلك مختبرات علمية عالية الجودة، ومسرح ومختبر حاسوب حديث، وتسعى المدرسة حثيثًا إلى رفع مستوى الوعي بأهمية تعليم البنات في تلك المنطقة، خصوصًا إذا ما علمنا أن المدرسة تستقبل نحو ألف طالبة من مختلف الاهتمامات الأكاديمية والخلفيات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

لا تمتلك الكثير من الأسر في هذا الحي مصدر دخل ثابت، وفي الوقت نفسه وبعيدًا عن اعتبارات الدخل، لا تدعم هذه الأسر فكرة مواصلة بناتها لتعليمهن الجامعي، بل تميل إلى فكرة الزواج المبكر. وفي ظل هذه المعطيات، كانت "لينا" مديرة المدرسة، وهي ابنة هذا المجتمع، تحاول جاهدة الاستفادة من الاهتمام المحيط بمدرستها المجهزة تجهيزًا ممتازًا لتغيير تلك الصورة النمطية عن تعليم البنات، وتحرص على التواصل مع المجتمع وعقد اجتماعات منتظمة مع أولياء أمور الطالبات، أملًا منها في تشجيعهم على تغيير نظراتهم وأفكارهم حول تعليم بناتهم.

بداية العام الدراسي

بدأت كل من أغادير ولينا السنة الدراسية بآمال كبيرة وطموحات عالية، حيث كانت أغادير متحمسة لمقابلة طالباتها وإثبات قدرتها على التعامل مع هذه المجموعة الكبيرة والمتنوعة ذات الاحتياجات المختلفة. وفي المقابل، سعت مديرة المدرسة إلى اعتماد أساليب مبتكرة وتبني طرق تدريس جديدة وفعالة؛ لمساعدة مدرستها على التفوق والوصول إلى الأداء المنشود، فعلى سبيل المثال: أعطت لينا للمعلمات حرية اختيار صفوفهن، حيث اختارت أغادير الصف الثامن، وتقرّر بأن تُدرّس أربع شعب منه وأن تكون مربية صف.

أرادت لينا أيضًا التأكد من أنّ المعلمات يحققن أهداف المدرسة بعد أن بدأ زخم بداية العام الدراسي يخبو، حيث طلبت إلى جميع المعلمات إعداد خططهن التعليمية للعام الدراسي وهي الخطط التي ستتابعها طوال العام لقياس مدى التقدم الذي تحرزه المعلمات، كما نصحت المعلمات بتحضير اختبارات تشخيصية وإجرائها لتحديد نقاط النمو الضرورية للطالبات.

لم تعرف أغادير ما الذي يجب توقعه في تلك اللحظة، لكنّها مع ذلك أعدت العدة لإجراء الاختبارات التي طلبتها إدارة المدرسة، وقد جاءت النتائج مخيبة للآمال؛ إذ لم تتجاوز نسبة النجاح ٢٥٪.

ومع ذلك، ساهمت تلك الاختبارات في منح أغادير فكرة أوضح عن مستوى الطالبات في الصفوف الدراسية، وإن كان حجم التحسين المطلوب قد شكل مفاجأة لها. ومع ذلك، أصرت أغادير على أنّ لديها القدرة على تغيير هذا الواقع، وبات كل ما تريده الآن هو بعض الوقت لتنفيذ خطة دعم تستهدف طالباتها. وتقضي الخطة بمنح الطالبات الفرصة لمراجعة الدروس معها خلال استراحة الغداء، بالإضافة إلى إعطاء حصص تقوية بعد الدوام الرسمي للمدرسة. وتباينت ردود أفعال الطالبات على الخطة بين التردد واللامبالاة، لكنّ أغادير ظلت عازمة على تقديم أي مساعدة تستطيعها لطالباتها، طالما كنّ على استعداد للعمل من أجل تحقيق هذه الخطة.

ورغم أن معظم طالبات أغادير كنّ مستعدات للتعاون معها، إلا أنّ طالبة واحدة، وهي هبة، كان لها رأي آخر، حيث لم تبدِ هذه الطالبة، التي توجد في صف تتولى أغادير المسؤولية عنه بصفتها مربيته، أي اهتمام بحصص التقوية ولم تتردد بالتعبير صراحة عن رفضها لمثل هذه الحصص. حاولت أغادير عدة مرات الاتصال بأسرة هبة، لكنّهم لم يستجيبوا أبدًا.

> وفي أحد الأيام، وبعد أن أخفقت هبة في اختبار آخر، توجهت أغادير إليها بينما كانت في طريقها للفرصة وقالت: "هبة، هل تعلمين أنّني أعطي

حصص تقوية للصف؟ لقد ساعدت هذه الحصص العديد من زميلاتك".

في تلك اللحظة، توقفت هبة عن المشي مستمعة لما تقوله المعلمة أغادير والتي واصلت حديثها بقولها: "اليوم، سيكون هناك حصة بعد المدرسة، لِمَ لا تنضمين إلينا؟"

في تلك اللحظة، التفتت هبة نحو معلمتها وقالت: "لا أريد حضور حصص التقوية هذه؛ فلا جدوى منها بالنسبة لي".

ظنت أغادير لبرهة أنّها تدرك ما يجري في تلك اللحظة وواصلت قولها: "اسمعي، أعلم أنّك ذكية، ولكن حتى الأذكياء منّا يتوجب عليهم العمل بجد أيضًا".

وبنبرة يملؤها الحزن على عكس ما كانت عليه قبل لحظات مضت، ردت هبة بقولها: "لا يتعلق الأمر بذلك آنسة أغادير، لن يفيدني هذا الأمر شيئًا".

واصلت هبة حديثها بالقول: "لم تكمل والدتي دراستها لأنّها تزوجت، ثم حملت بعد ذلك بفترة قصيرة، حتى أخي ترك المدرسة. المدرسة ليست جزءًا من مستقبلي، هل فهمتِ؟ لم تكن جزءًا من حياة أمي، ولن تكون بالنسبة لي أيضًا".

تملكت أغادير في تلك الحظة حالة من الذهول بينما مضت هبة في طريقها إلى فرصة الطلبة.

وعلى الرغم من ذلك، واصلت أغادير هي وطالباتها العمل بقية العام بكل جدّ ونشاط، حيث ما انفكّ عملها الدؤوب من خلال حصص التقوية أن يمثل مصدر إلهام لها، وواصلت دعمها لكل من حضرت تلك الحصص، ولكن للأسف، لم تكن هبة واحدة من الحاضرات أبدًا.

فترة الامتحانات

في نهاية العام، كانت أغادير تنتظر بفارغ الصبر نتائج الامتحانات ؛ لرؤية ثمرة عملها الدؤوب مع طالباتها، ولم تتوقف عن إعطاء حصص التقوية طوال العام وكلّها فخر بالعدد المتزايد من الطالبات اللاتي يحضرن هذه الحصص.

وفي صبيحة أحد الأيام، حضرت أغادير مبكرة إلى المدرسة؛ لإنهاء تصحيح أوراق الامتحانات. وما إن شرعت بالتصحيح حتى تملّكها شعور غامر بالسعادة من أداء طالباتها، حيث رأت كيف بتن قادرات على تحصيل نتائج جيدة بعد أن كان أداء بعضهن متدنيًا، وظلت تتمتم بأسماء طالباتها "فاطمة، مها، سلام، نور، أميرة" وهي منهمكة في تصحيح الامتحانات ، وترى بأمّ عينيها كيف أن جهدها قد آتى أكله.

ولكن عندما وصلت إلى ورقة إجابة هبة، كان أثر غياب هذه الطالبة عن حضور حصص التقوية على أدائها جليًا، وتيقنت أغادير ساعتها أنّ هذه العلامة لن تمكّن هبة من عبور هذا الصف، ووقعت في حيرة من أمرها لعلمها أنّ هذه الطالبة سبق وأن رسبت مرتين، وفي حال رسبت للمرة الثالثة، فسيكون لزامًا عليها إعادة الدراسة في الصف الثامن.

في الصف، منحت أغادير طالباتها فرصة معرفة نتائجهن، كل واحدة على حدة، وعندما

أمسكت هبة ورقتها ، تبدلت ملامح وجها وبدأ قلبها بالخفقان وانقلبت تعابيرها رأسًا على عقب.

اتصال غير متوقع

في وقت لاحق من مساء ذلك اليوم، كانت أغادير تتناول العشاء مع أطفالها، حينها رنّ جرس الهاتف، لم تكن معتادة على استقبال أي اتصالات على الهاتف الأراضي، ومع ذلك التقطت السماعة.

لقد كان المتصل هو والد الطالبة هبة وبدا على صوته الغضب الشديد وقال: "ما مصلحتكِ في ترسيب ابنتي؟"

ردّت أغادير بالقول: "لقد حاولت الاتصال بكم، لكنّني لم أتلق إجابة أبدًا. يبدو أن هبة لا تلقي للمدرسة أي أهمية؛ لأنّها تدرك أين سينتهي بها المطاف؟!

حاولت أغادير إيضاح وجهة نظرها؛ مبينة أنّها بذلت قصارى جهدها لمساعدة هبة على تحسين نتائجها، ولكنها رفضت المساعدة.

"لا تحاولي تغيير الموضوع! ابنتي هبة ذكية جدًا واتركي المستقبل إلى حينه. ما يهمني الآن هو أساليب التدريس الغريبة التي تتبنينها والتأثيرات السلبية التي أدت إلى رسوب ابنتي".

حاولت أغادير المقاطعة في تلك اللحظات فقالت: "سيدي، أنا أتفهم أنّ....."، ولكن الأب قاطعها مجددًا قائلًا: "كفى! سأقولها ببساطة، أنتِ لست موضع ترحيب هنا! عودي من حيث أتيت واتركي بناتنا وشأنهن. وليكن بمعلومك، لا يقتصر هذا الأمر علي وحدي، بل هو رأي كثير من الأسر التي تفكر في الأمر نفسه."

واصلت أغادير محاولة توضيح وجهة نظرها، لكنّ تفسيراتها لم تجد أذنًا صاغية، حيث تابع الأب هجومه والادعاء بأنّ أغادير لا تنتمي إلى هذا المكان. لم تدرك أغادير معنى أن تكون غريبًا عن وسط ما إلا تلك اللحظة. وبعد أن أكمل والد هبة حديثه، لم تنبس أغادير ببنت شفه؛ مذهولة مما سمعت، وأخذ القلق يساورها بشأن الحياة التي كانت تطمح إلى تأسيسها، هي وأسرتها.

في صبيحة اليوم التالي، أخبرت أغادير المديرة لينا ومساعدتها سجى بما حصل، فدهشتا مما سمعتا، وأقبلت المديرة تعتذر إلى أغادير عما بَدَر من الأب وسألتها: "ما ردة فعلك الأولى على كل ما حصل؟ وبماذا تفكرين الآن؟"

ولكن، أنّى لها أن تجيب عن هذا السؤال الصعب الذي يطرح استقرارها للتساؤل. هل يمكنها أن تغادر؟ وإذا غادرت، هل سيعدّ ذلك بمثابة تنازل عن دورها مع طالباتها وعن قيمها بسبب خلافات تراها غير منصفة؟ كيف يمكن أن تشرح هذا القرار لبناتها في وقت لم تتوقف فيه عن تشجيعهن للمضي قُدمًا في طريق تحقيق أحلامهن في المستقبل؟ وفي الوقت نفسه، هل عليها أن أن تغني خارج السرب، لا سيما إذا كان ذلك سيؤثر على طفولة بناتها؟

أسئلة تأملية

- هل كان بإمكان أغادير أن تتعامل مع هبة بشكل مختلف؟
- هل كان بإمكان أغادير التواصل مع المجتمع المحلي بشكل مختلف؟ كيف ذلك؟
- برأيك، ما الذي يجب على مدير المدرسة فعله في هذه الحالة؟
- هل كان بإمكان مدير المدرسة اتخاذ أي تدابير وقائية؟
- لو كنت مكان أغادير، كيف ستتعامل مع القرار الذي أمامك؟ وكيف ستشرح قرارك لأطفالك؟
- تنطوي هذه القضية على اتخاذ قرار حول تقاطع عمل الفرد مع حياته الشخصية. بشكل عام وخارج هذا السياق المحدد، ما الخطوات التي يمكن للمعلمين اتخاذها لضمان إيجاد نوع من التوازن المستدام بين العمل والحياة الشخصية؟

إدارة السلوك

أنقذوني قبل أن تفقدوني

تقع مدرسة الغد على بقعة صغيرة من الأرض كطود شامخ، يصدر عنها أنوار العلم والمعرفة، رغم التجارب المعقدة والتحديات الكبيرة التي مرّت عليها، تتألف المدرسة من مبنيين منفصلين يضمان أربع عشرة غرفة صفية، ومكتبة ومختبر حاسوب صغير، وتمتد بين المبنيين ساحة صغيرة مزروعة بأعمدة تحمل مظلة تقي حرّ الصيف وأمطار الشتاء، ولكنّ أعمدة المظلة تتربّع في منتصف ساحة المدرسة حتى تكاد لا تترك مساحة للطلبة كي يلعبوا بحريتهم.

تنتصب مدرسة الغد بين منازل ذلك الحي بعراقتها، ورغم إمكاناتها المتواضعة وقِدم مبانيها، ما زالت تخرّج الأجيال جيلًا بعد جيل، وما زالت مطمحًا للكثيرين لتسجيل أبنائهم وبناتهم في المدرسة؛ فهي تتمتع بسمعة طيبة، وطاقم تدريسي متعاون ورائع.

في البداية كانت غرفها الصفية تتسع لعدد قليل من الطلبة، أما الآن وبعد زيادة أعداد السكان فقد ضاقت جدرانها على من يأتي إليها حتى وصلت أعدادهم فوق الأربعين، ونحو الخمسين في غرفة واحدة لا تتجاوز مساحتها (٢٤) مترًا، وزاد عدد طلبة المدرسة فيها عن (٦٠٠) طالب، ومما لا شك فيه أنّ هذا الجو المزدحم يؤثر في العملية التعليمية برمتها ويتأثر به الجميع سواء أكانوا طلبة أم معلمين.

لطالما حاولت مديرة المدرسة "سوسن" أن تصلح الحال؛ مرةً بإرسال الكتب الرسمية بهدف التوسعة، وإضافة غرف صفية، ومرة أخرى بطلب الاستفادة من الحديقة المجاورة للمدرسة، ولكنّ المحاولات كلّها لم يُكتب لها النجاح. كما حاولت جاهدة التواصل مع أولياء الأمور؛ لإيجاد قنوات مفتوحة للتفاهم وتوحيد الجهود، والتعاون مع المدرسة ولكن في كل مرة كانت تصطدم بقناعات متجذرة في أذهان أولياء الأمور بأنّ المدرسة هي المسؤولة عن إيجاد الحلول، ووظيفتها تقديم الخدمة للطلبة، مهما كانت الظروف وبرأيهم أنّه لا مبرر لتقصيرهم.

هدفك النجاح دائمًا

كانت "سوسن" فرحة أبيها وفخره؛ فقد كان والدها "أحمد" يرى فيها تميزه، ويشعر بأنّها إنجازه الكبير في هذه الحياة، ربّاها على القيم والأخلاق الحميدة، وتنبّه إلى الشخصية القيادية الكامنة فيها، فحرص على أن يغذّي فيها روح الإقدام والإصرار وتحمّل المسؤولية، ومنحها فرصًا كثيرة لاتخاذ القرار، وتسيير أعمال كثيرة، لقد رأى فيها طموحًا كبيرًا وهمّة تعانق السحاب، فكان لها نِعم السند والمُيسّر والداعم، وفي كل موقف كانت تتألق وتبدع لتكون عند حسن ظن أبيها.

وكم كانت سعادته كبيرة عندما اتصلت لتخبره بأنّها نجحت في المقابلة، وأنّها ستتولى منصب مديرة مدرسة الغد الأساسية.

> قال والد سوسن مبتهجًا: "مبارك يا حبيبتي، واللّه إنّه لمكان يليق بقائدة مثلك؛ وفقك اللّه بنيتي، وتذكري، إنّها لمسؤولية كبيرة، وهي تكليف وليست بتشريف. عليك التحلي بالصبر والحكمة، وليكن شعارك إما أن أنجح، أو أن أنجح".

أربع سنوات مرّت كلمح البصر منذ أن تولّت سوسن إدارة المدرسة، فارتقت بها وحققت كثيرًا من التقدم، ولكن ما زال لديها إنجازات بانتظار أن ترى النور، وما زالت هناك تحديات كثيرة تشكل عقبة تعترض طريق النجاح.

نفد صبري ...

كانت المديرة سوسن منهمكة في إنجاز بعض الأعمال الكتابية عندما طرقت الباب "منى" معلمة الصف الرابع واستأذنت منها، كان معها مجموعةٌ من الطلبة، وبدا عليها الضجر والضيق حدّ البكاء، وقالت: "أستاذة سوسن أنا لم أعد أطيق وجود هؤلاء الطلبة في صفي؛ لقد استنزفوا طاقتي وصبري واحتمالي، لن أدخل الصف بوجودهم مهما تطلب الأمر".

ردت سوسن: "إهدئي عزيزتي أرى أنّك في حالة غضب شديد اليوم، لابدّ أن نجد حلًا، فلكل مشكلة حل".

أجابت المعلمة منى بإصرار: "إلّا مشكلتي، إنّها معضلةٌ لا حل لها. ثمّ إنّ القضية لا تتعلق بهم وحدهم بل بعائلاتهم أيضًا".

اقترحت المديرة سوسن وهي تربت على كتف منى: "حسنًا دعينا نلتقي اليوم في نهاية الدوام؛ لنر كيف يمكن مساعدتك".

بين مرارة الحقيقة ولهيب العاطفة

في غرفة الإدارة وعلى طاولة الاجتماعات كانت سوسن جالسة وبرفقتها "صفاء" معلمتهم السابقة في الصف الثالث، والمرشدة التربوية "حنان" التي تقوم بدور التوجيه والإرشاد في المدرسة.

بدأت المديرة سوسن بالترحيب بالفريق، ووضّحت أنّها طلبت من حنان جمع البيانات عن مجموعة الطلبة في الصف الرابع، ثم طلبت إليها مناقشة ما توصلت إليه.

قالت حنان: "شكرًا مديرتنا، لقد لاحظتُ أنّ هؤلاء الطلبة الذين أحضرتهم إلى المكتب اليوم يشتركون معًا في مجموعة من الصفات: كالحركة المفرطة، والتشتت، وسوء التصرف والعنف، لذا فهم يشكّلون عائقًا أمام سير الحصص، عدا عن الإيذاء الجسدي والنفسي الذي يتسببون به لبقية الطلبة، والذي وصل إلى حدّ لا يمكن السكوت عنه، إضافة إلى عدم توفّر بيئة منزلية جيدة وحاضنة لهم".

نظرت المديرة إلى المعلمة صفاء متسائلة: "وأنت يا صفاء ما رأيك بما سمعت؟ فقد كنت معلمتهم في الصف الثالث".

تنهدت صفاء قائلة: "لا أنكر أنّ هؤلاء الطلبة متعبون جدًا، ويشكلون عبئًا ثقيلًا علينا في ضبطهم وتدريسهم. ومع أنّي أتعاطف مع منى، ولكنّهم

ضحايا ظروف اجتماعية قاسية، تسببتها أوضاع سياسيّة قاهرة في الجوار، وكما قالت حنان هناك منهم من يعيش في ظل أسرة مفككة. أنا أعرف أنّ والديّ "قصي" منفصلين، وهو نادرًا ما يرى أمه لأنّها تعمل دائمًا. واللّه إن قلبي يتفطّرلحالهم، في الوقت ذاته الذي أغضب لسوء تصرفاتهم".

تدخّلت سوسن: "ولكن يا صفاءإن الملاحظات والشكاوى التي تصل إلينا تدق ناقوس الخطر، قبل أيام كاد قصي أن يفقأ عين زميله، وبالأمس ألقى "كرم" بزميله أمام السيارات عند خروجه من باب المدرسة، ناهيكِ عن مشاجراتهم أثناء الحصص وصعوبة ضبطهم!".

تدخلت منى معترضة: " أنا لا أتفق معك يا صفاء لقد حاولت مساعدتهم، لقد شجعت "كرم" وقدمت له الهدايا ووعدته بالمزيد، ثم ما لبث أن عاد إلى سابق عهده".

أضافت منى: "أنا لست مُصلِحة اجتماعية! ما يعنيني هو المحافظة على انضباط الصف، وتقديم تدريس جيد".

أدركت المديرة إلى أين سيقودهم النقاش، وبدأت بتنظيم أفكارها في كيفية ضبط النقاش وإدارته، ولكن صفاء أكملت: "وهل نجاحهم في الحياة لا يعنينا ؟؟ ألا يجب أن نسأل أنفسنا ما السرّ وراء كل هذه التصرفات العدوانية التي يقوم بها الطلبة؟ وكيف نستطيع كمدرسة أن نجعل منهم مواطنين صالحين عوضًا عن تركهم فريسة سهلة لعالم الإجرام في المستقبل".

أخذت منى نفسًا عميقًا مع ضغط اليوم الكبير الذي بدأ يؤثر فيها، ثم ردّت باستغراب: "هذا كلام فلسفة لا يروق لي، لنكن واقعيين، وظيفتي أن أعلّم. ألا تكفينا الأعداد المتزايدة في الصفوف والأعمال الكتابية التي أنهكتنا؟! ثم كيف تطلبين مني أن أصلح شيئًا قد انكسر، هل تعتقدين أنّ باستطاعتي إرجاع الأزواج الى بعضهم بعضًا، ولمّ شمل كل هذه الأسر المفككة ؟! أم أنّك تطلبين مني أن أوفّر مستوىً اقتصاديًا مناسبًا لكل أسرة؟!".

لقد أثار النقاش في سوسن حديث ذكريات جرى مع والدها قبل أربع سنوات، وشعرت تمامًا بأهمية كلامه وتدخلت على الفور: " منى، انا أتفهم إحباطك ولكنّني أؤمن إيمانًا راسخًا بدورنا في مساعدة الطلبة، فنحن نتحمل جزءًا من المسؤولية تجاههم وإعدادهم للمستقبل. وإذا تركنا عبء ظروفهم يثقل كواهلهم وحدهم فإنّ كثيرًا منهم سينهار".

مثل كل القضايا التي مرت على سوسن في المدرسة، فإنها لن تستطيع حل هذه المعضلة بالجلوس على الطاولة والحوار فقط. كان واضحًا لها أيضًا أنّ مسؤولية المدرسة أكبر من مجرد التدريس، وفي الوقت ذاته، إن وضع توقعات غير واقعية حول ما يمكنهم أن يحققوه سيكون تصرفًا غير مسؤول.

خلصت مديرة المدرسة إلى أنّ الموضوع يحتاج مزيدًا من التفحّص والتحليل، وأوضحت أنّها ستشكل فريقًا بقيادة حنان للتواصل مع أولياء الأمور للاستماع إلى وجهات نظرهم، والبحث في صُلب المشكلة وجوهرها.

مَن المسؤول ؟

كانت سوسن غارقة في أفكارها عند نافذة مكتبها، تنظر إلى الطلبة وهم يلعبون في ساحة المدرسة، لقد اشتكوا كثيرًا من ضيق الساحة وعدم قدرتهم على اللعب، ومع ذلك كانت تتأمل في قدرة الطلبة في تطوير لعبة "الغميضة" في الساحة المليئة بالأعمدة، كان هناك ما ألهمها حول إبداع هؤلاء الطلبة واستقلاليتهم على الرغم من...

صرخت "والدة سعيد" وقد قاطعت تفكير سوسن، وسبّبت ضجة كبيرة في مدخل المدرسة: "أين هي الإدارة؟ أين مديرة المدرسة؟ أريد أن أقابلها حالًا!"

أرشدت سوسن الأمّ إلى مكتبها، وسألتها بهدوء: "كيف أساعدك؟"

قالت "أمّ سعيد" وهي تبدو بحالة عصبية شديدة: "أنتم لا ترون ولدًا سيئًا في هذه المدرسة إلا " ابني سعيد "، ألا يكفي أنّه لا يستطيع النطق جيدًا، لقد جعلتم منه أضحوكة لطلاب مدرستكم".

حاولت المديرة استيعاب الموقف بالإصغاء إلى الأمّ، إلّا أنّ الأمّ استمرت بالصراخ: " كل يوم يأتيني "ابني سعيد " مشتكيًا إهمال معلمته له، للدرجة التي أصبح فيها يكره القدوم إلى المدرسة، لقد تعلّم من طلاب مدرستكم أسوأ الألفاظ، واكتسب أسوأ الأخلاق".

سمعت حنان الضجّة، ودخلت مكتب المديرة وخاطبت الأم: "ولكن يا أم سعيد لقد تكرر استدعاؤك لمناقشة سلوكات ابنك أكثر من مرة دون جدوى؛ فهو لا يتوقف عن إيذاء زملائه وضربهم".

صارت سوسن وحنان وأم سعيد جميعهن ينظرن إلى سعيد- الطالب في الصف الرابع الذي كان يتمنى أن يختفي تلك اللحظة- ردّت أمّه مبرّرة: " ليس لديّ وقت كاف للحضور كلّ يوم لأسباب بسيطة؛ فلديّ من الأعمال والمشاغل الكثير، وهذا دوركم ومسؤوليّتكم، وإلا فما فائدة إحضاره إلى المدرسة؟ ".

استطردت حنان: " لكنّه تسبب اليوم بجرح زميله بأداة حادة انتزعها من مبراته، وقبل يومين أغلق الباب على يد زميله ".

أم سعيد: "هذا كلام عارٍ عن الصحة!! ابني مسكين ولا يؤذي أحدًا، بل يتعرض للضرب من زملائه، حتى معلمته تهينه بعزله في مقعدٍ وحده، وبعد كل ذلك تريدون من ابني أن يبقى جبانًا !؟" لن أسكت عن هذه التصرفات المهينة كلها، وسأتقدم بشكوى خطية ضد المدرسة".

سحبت الأُمّ ابنها من قميصه، وغادرت المدرسة وهي تتوعد دون أن تسمع من أحدٍ أيّة كلمةٍ.

قالت حنان وهي تغادر مخاطبة المديرة: "إيه ... بصراحة نحن نعاني من قلة احترام أولياء الأمور لنا قبل أن نراها من أبنائهم".

غادرت المرشدة غرفة الإدارة تاركة المديرة سوسن تسجل ملاحظاتها على سجلها الخاص، وتتأمل بحال تلك المرأة ومستقبل سعيد –إن ظل على هذا النحو؛ فتعديل سلوك سعيد في المدرسة شيءٌ، وتشجيع أمه لهذا السلوك شيء آخر.

كان التأزم في هذه المسألة محبطًا، وعرفت سوسن أنّ حكاية سعيد ليست الوحيدة، وأنّ هناك حكايات أخرى.

أسئلة تأملية

- ما التحديات التي تواجه مدرسة الغد الابتدائية؟
- ما أسباب هذه التحديات (هل هي المساحة المادية للمدرسة، أوثقافتها، أوقوانينها، إلخ)؟
- إذا كنت مدير مدرسة الغد الابتدائية، اذكر خطوتين ملموستين ستتخذهما على المدى القصير لمعالجة هذه المشكلات.
- لو كنت زميل منى، فما الأدوات أو النصائح التي قد تقدمها لها حول كيفية ضبط صفها؟
- أثناء النقاش بين (حنان، ومنى، وصفاء، والمديرة) هل توافق على حجة إحداهن دون أخرى؟ لماذا؟
- كيف يمكن للمدير اتباع نهج مستقبلي للتعامل مع أولياء الأمور مثل أم سعيد ؟

أنا لا أهتم!!

جلست "سناء" على مكتبها نهاية اليوم تردّد كلمات "ميرا" في ذهنها : "ما الذي يهمك أتعلمت أم لا؟! إنّ ذلك لا يُجدي نفعًا على أي حال. أنا هنا فقط لأخرج من المنزل، ولن يكون لي قيمة. ولا أحد يهتمّ لأمري، أنا لا أهتم أصلًا لذلك، لذا اتركوني وحدي".

لا ينبغي لأيّ طالبٍ أن يقتنع أنّه غير قادر على النجاح، ولا ينبغي لأيّ معلم الشعور باليأس تجاه تقديم المساعدة لأي طالب يواجه مثل هذه الظروف القاسية. ولكن ما الذي يمكنه فعله؟ لقد حذّرت سناء بالفعل من أمر ترك مساعدة هذه الطالبة، وفي لحظات الخيبة التي انتابت سناء تجاه الأمر، تساءلت عما قد تفعله بعد ذلك.

المعلمة سناء

تبلغ سناء من العمر خمسة وعشرين عامًا، حصلت على درجة البكالوريوس في الرياضيات بامتياز، وقبل البدء بالتدريس وإكمال درجة الماجستير في المناهج وطرق التدريس تابعت دراستها وحصلت على دبلوم إعداد وتأهيل المعلمين، الذي سلّحها بكثير من المعارف والمهارات والاستراتيجيات اللازمة لتصبح معلمة محترفة، شُغفت سناء بالتعليم، وحبها للطلبة دفعها إلى اتباع المسار الذي اختارته؛ فقد أرادت مساعدة الأجيال الجديدة على فهم مادة الرياضيات ودفعهم لحبّها، والقدرة على ربط الرياضيات بحياتهم اليومية. كانت مصممة على عدم ترك أيّ طالبة من طالباتها تحت وطأة سوء الظروف، وأصرت أن تكون موجّهة لهنّ.

تعينت سناء في مدرسة الأحلام بعد الانتهاء من دبلوم إعداد وتأهيل المعلمين قبل الخدمة، وخلال مدة قصيرة اكتسبت سناء احترام زميلاتها ومديرتها في المدرسة، وفي كثير من الأحيان كانت تسمع عبارة "لقد ولدتِ لتكوني معلمة"، بالإضافة إلى مهاراتها التعليمية المتميزة تابعت سناء بانتظام التقدم الأكاديمي لطالباتها، وتواصلت أيضًا مع مرشدة المدرسة؛ لتوفير أي اهتمام ودعم مطلوبين للطالبات وقت الحاجة. بعض المعلمات كنّ يرون أنّها تدسّ أنفها في قضايا ليست من شأنها.لكنّها تجاهلت هذا النقد.

المدرسة والسياق

مدرسة الأحلام، مدرسة ريفية حكومية تقع بين التلال الخضراء المتعرّجة، وتحيط بها أشجار الزيتون، حيث البيئة المثالية التي تبعث في النفس الهدوء والسكون. كانت المدرسة تلبي احتياجات سكان إحدى القرى- والتي تنتمي إلى خلفية اجتماعية تعليمية واحدة- وهذا يعني أن المعلمات والطالبات وأولياء أمورهن يعرفون بعضهم بعضًا بشكل جيد، وحتى في بعض الأحيان يعرفون أكثر التفاصيل خصوصية!

وبما أن المعلمات يعملن لصالح مجتمعهن، فقد كنّ حريصات على رفع مستوى فرص التطوير المهني باستمرار، وأدى التركيز على التدريس القائم على المهارات وتطويرها إلى فوائد جمّة انعكست في استكمال تعليم كثير من الطالبات في المرحلة الثانوية بنجاح، ومواصلة دراساتهن الجامعية.

في حين أن العمل بالقرب من المنزل كان مفيدًا للمعلمات بعض الشيء، إلا أنّه يعني أن الصراعات يمكن أن تنتقل بسهولة إلى بيئة المدرسة أيضًا، وأنّ خطوطًا واضحة كان لا بدّ من عدم تجاوزها مع تلك العائلات.

في الآونة الأخيرة، بدأت وزارة التربية والتعليم تسليط الضوء على أهمية الرفاه النفسي والاجتماعي للطلبة، ونظرت في كيفية تدريب المرشدين لمساعدة طلبة المدارس ليكونوا أكثر فعالية، ومع كل ذلك فإن المجتمعات – خاصةً في المناطق الريفية – ترى بأنّه لا ينبغي للمدارس أن تتدخل في مثل هذه الأمور؛ لأنّ ذلك يعني أن الأمور العائلية والشخصية ستبحث علنًا وهذا أمر غير مقبول عندهم.

الطالبة ميرا

"ميرا" طالبة في الصف الرابع في مدرسة الأحلام، عائلتها من سكان القرية الأصليين، وبعد طلاق والديها غادر والدها البلد؛ لمشاكل مالية، وتزوجت والدتها مرة ثانية، ونتيجة لذلك انتقلت ميرا للعيش مع عمتها. لم تُظهر عمة ميرا "فردوس" –المرأة الكبيرة في السنّ وغير المتزوجة– أي اهتمام بابنة أخيها، وكانت تتجاهل مكالمات مديرة المدرسة الهاتفية لمناقشة الوضع الأكاديمي لميرا! ولم تتابع تقدمها أبدًا ، ولم تكن لتردّ على الملاحظات التي أرسلتها المدرسة بخصوص أدائها أيضًا.

أظهرت سجلات ميرا في الصف الثاني أنها كانت طفلة عاطفية وفضولية ترغب دائمًا في جذب انتباه من حولها، وفي الآونة الأخيرة، كشفت تقاريرها عن صورة مقلقة لطفلة معزولة، يكبر بداخلها غيظ لا يخفى، وعدم اهتمام بالمدرسة! في تلك السنة انتهت ميرا إلى صف سناء، وفي اليوم التالي سمعت المعلمة ميرا وهي تردّ على توبيخ زميلة لها بأنّها لن تنجح ما لم تتغير.

> قالت ميرا: "أنا لا أهتم!أنا هنا فقط للابتعاد عن عمتي وأعمال المنزل. عندما أعود إلى عمتي، يتوجب عليّ تنظيف المنزل، وبالكاد أجد وقتًا للراحة، لا يمكنني القيام بالواجبات المدرسية. إنّ ذلك لن ينجح!".

هذه الكلمات لم تمرّ على أذن سناء دون أن تؤثر فيها، لقد جعلتها تدرك أنّ وضع ميرا في حالة مزرية ، وأنّ هذا سيؤثر سلبًا عليها، وتساءلت في دخيلة نفسها عن مسؤوليتها تجاه هذا الأمر. كانت سناء مقتنعة بأنّ أحد العوامل الرئيسة للتعلم الناجح هو توفير بيئة تعليمية آمنة وداعمة تحفز الطالبات وتلهمهن، وظهور ميرا في المدرسة بملابس غير مرتبة، وشعر غير مصفّف أظهر بلا شك مقدار الإهمال الذي تلاقيه؛ وربما كان هذا هو السبب في أنّها فقدت اهتمامها بأمر المدرسة والدراسة.

أرادت سناء تحفيز ميرا للتعلم والتغلب على ظروفها، لكن ما تزال طفلة فكيف سيكون التشجيع دون تحقيق فعل حقيقي؟! كانت سناء معلمة للرياضيات، وهذا لا يمنحها إلا إمكانية محدودة للعمل مع ميرا. فما مدى قدرتها على ذلك دون أن تُلام!؟ أقنعت سناء المرشدة أن تنضم إليها في إثارة هذه المسألة مع مديرة المدرسة، خاصة لِما توليه الوزارة من اهتمام في هذا الجانب، وبالفعل قامتا بإجراء محادثة طويلة مع المديرة وتمكّنتا من إقناعها بضرورة اتخاذ بعض الإجراءات.

أشياء تخطر في البال!

التقت المديرة والمرشدة وسناء مع عمة ميرا؛ في محاولة لتلبية احتياجات ميرا وتخليصها من عزلتها، وعدم مشاركتها الفاعلة في الغرفة الصفية، وهذه المرة كانت الإدارة شفافة مع عمة ميرا وأبلغتها أنّها ستكون مسؤولة قانونيًا في حال إساءة معاملتها جسديًا أو نفسيًا.

بدأت العمة في الاحتجاج بصوت عالٍ، وأصرّت أنّها كانت تفعل كل ما في وسعها للفتاة قائلة: "أنا أحب ابنة أخي، و أخي تركنا في ضائقة شديدة. إنّني أتقدم في العمر، وبصري يضعف أكثر وكذلك ركبتاي، وإن لم تساعدني ميرا في أعمال المنزل، سيغدو منزلنا مهملًا قذرًا!"

جادلتها المديرة: "لكن، هل هذا منصف لميرا؟! لا يمكن أن يكون لها مستقبل أفضل إذا تُركت هكذا!".

ردّت العمة فردوس: "مثل ماذا؟ ها أنذا، أطعمها وألبسها وأرسلها إلى المدرسة، وإن لم تحب المدرسة، فيمكنها أن تتزوج وتعيش مثل أي فتاة أخرى".

قالت سناء: "رجاء، فكري في مستقبلها وفي الفرص التي تضيّعيها عليها".

ردّت العمة بانفعال: "ولا كلمة أخرى منك! كيف تجرؤين على التدخل في شؤون عائلتي؟! الجميع يعلم أنّني أبذل قصارى جهدي! مَن أنتِ لتقتحمي أموري الشخصية وتتهمينني بهذا الشكل؟ أعلم أنّ هذا كله بسببك، وأسمع أنّ الجيران يتحدثون عن فضولك وتدخلك في شؤون طالباتك!".

أصبح الاجتماع ساخنًا، ولم تتمكن المديرة من تهدئة العمة، وطلبت إلى سناء والمرشدة المغادرة، وأخبرتهما لاحقًا بأنّ العمة فردوس وعدت بالاعتناء بميرا.

فكرت المرشدة في الإجراء الذي يمكنها اتخاذه، لقد أصبح من الواضح أنّ اللوائح والقوانين لا تمنح المدرسة مجالًا للتواصل مع أولياء الأمور، وليس ثمة آلية يمكن عن طريقها تصعيد هذه المشكلة.

كل ما يمكنهم فعله هو العيش على أمل أن تكون العمة صادقة في وعدها. ومع ذلك، على الرغم من ظهور تحسن طفيف في مظهر ميرا الجسدي، إلا أنّ سلوكها لم يظهر عليه أي تغيير!

لقد زاد اكتئاب ميرا، وأصبحت متجهمة وغير متعاونة، وبعض المعلمات لم يعرفن كيفية التعامل معها، فتركوها بمفردها في الصف ولم يتوقعوا شيئًا منها، والأهم من ذلك كله أن ميرا أصبحت تتغيب كثيرًا عن المدرسة لاسيما في أيام الامتحانات.

كادت سناء تغرق في أفكارها، فممن ينبغي عليها أن تطلب المساعدة في الوقت الذي بدا فيه أن الجميع قد استسلموا! هل يجب عليها الإبلاغ عن هذا الأمر لحماية الأسرة؟ ماذا

سيحدث لو فعلت؟ هل تستشير شيوخ القرية؟ إنّهم يرون أنّ تدخلها غير مرحّب به، فما الذي يمكن فعله؟

استسلمت سناء لشعورٍ عميق بالفشل والخجل، وظهرَ ذلك في انكسارِ عينيها كلما رمقت ميرا، وفي تهدُّجِ صوتها كلما دار حديثٌ في جلسة حول دعم حاَجات الطالبات والتحديات التي تواجههن.

كل ما يمكنها فعله هو أن تصلي لله ليقودها إلى الطريق الصحيح. ماذا يجب أن تفعل بعد ذلك كلّه؟

أسئلة تأملية

- لو كنت مكان ميرا، ماذا ستفعل بعد ذلك؟ سوّغ إجابتك.
- هل يجب على المدرسة إبلاغ حماية الأسرة بالقضية؟ وهل سيزيد ذلك معاناة ميرا أم سيخففها؟ وضح مسوغاتك.
- ما الذي يجب على المرشدة عمله لدعم ميرا؟ هل يمكن فعل ذلك مع احترام وجهة نظر العمة؟ كيف؟
- هل تتجاوز سناء حدودها لقيامها بدور فعال في هذه القضية؟ كيف ذلك؟

التوتر المتصاعد

كانت الساعة الثانية ظهرًا من يوم الخميس عندما قُرع جرس نهاية الدوام المدرسي، مؤذنًا بانتهاء أسبوع مرهق على المرشد التربوي "طلال". وبالرغم من انتهاء الدوام إلا أنّ " طلال" كان يجاهد عبثا للوصول إلى حل للمشكلة المتصاعدة التي سقطت فجأة فوق رأسه، لقد كان صدى عبارة "مؤيد" –الطالب في الصف السابع– يرنّ في أذنيه: "أنتَ لا تملك الحق بفرض لاعبين في فريقي، ولا أريده في فريقي".

استحضر طلال نبرة صوت مؤيد الحادّ، ونظرات الغضب في عينيه.وكان يعلم في قرارة نفسه أنّه سيمضي عطلة نهاية الأسبوع كاملة منشغلًا بالتفكير في حلٍّ لمنع التصاعد المحتمل للمشكلة يوم الأحد القادم.

المرشد التربوي

"طلال" شاب في الحادية والعشرين من عمره، واختار مهنة الإرشاد؛ لمساعدة الطلبة الصغار على الشعور بالأمن والسلامة في المدرسة؛ بسبب طفولته الصعبة. كان من السهل ملاحظته بشعره الأسود المجعد وعينيه البنيتين الدافئتين وهو محاط بالطلبة، حيث يضحك معهم ويشجعهم. وُلِد طلال بإعاقة حركية في إحدى قدميه مما جعله عرضة للسخرية والاستبعاد من بقية زملائه في المدرسة، ومع ذلك فإن تلك الإعاقة نفسها كانت سببًا في حصوله على وظيفة في وزارة التربية والتعليم بعد تخرجه مباشرة تحت بند الحالات الإنسانية. كان طلال يعلم في قرارة نفسه كم كان محظوظًا بالتعيين؛ ولذلك فقد كان مصمّمًا على بذل قصارى جهده لمساعدة طلبته رغم الاختلاف الملموس بين المعرفة النظرية التي درسها في الجامعة والواقع العملي في المدرسة. إلا أنّ المدرسة لم تكن بوضوح النظرية. لقد كان وضع المدرسة يعكس توترات المجتمع المحيط بها.

مدرسة القصبة

في إحدى ضواحي العاصمة، كانت مدرسة :القصبة الثانوية" –المكونة من مبنيين رئيسيين وكل منهما مكون من طابقين– تخدم الطلاب في الصفوف من السادس وحتى الثاني عشر. وكانت المدرسة واحدة من المدارس المضيفة للطلبة السوريين، حيث اختيرت لتجربة مقاربة شاملة لدمج اللاجئين مع الطلبة المحليين؛ بدلًا من إنشاء فترة ثانية بعد الفترة الأولى. كانت المدرسة مكتظة، حيث بلغ متوسط عدد الطلاب في الغرفة الصفية الواحدة (٤٠) طالبًا، فضلًا عن النقص في مواردها والذي لا يمكّنها من تلبية حاجات الأعداد الكبيرة من الطلاب .

كانت هناك حالة من مشاعر القلق الواضحة بين السكان المحليين في المجتمع؛ نظرًا لتدفق اللاجئين وإمكانية تأثير وجودهم على فرص عملهم وجودة التعليم المقدم لأبنائهم.

أزمة اللاجئين وأثرها

وفقًا لتقرير حديث صدر عن المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، فإنّ الأردن متأثّر بشكل كبير بالأزمة في سوريا؛ فهو يستضيف ثاني أكبر عدد من اللاجئين في العالم. (٤٨ ٪) من اللاجئين كانوا من الأطفال، ويعيش (٨٣ ٪) من اللاجئين في المناطق

الحضرية، بينما قُسّم (١٧ ٪) بين ثلاثة مخيمات للاجئين. ومع إصدار أكثر من (١٢٣) ألف تصريح عمل لهم، كان هناك شعور بأن اللاجئين يحصلون على فرص عمل حرم الأردنيون منها.

المفوضية السامية لشؤون اللاجئين في الأردن، ٢٠١٩
https://reliefweb.int/report/jordan/unhcr-jordan-factsheet-may-2019

الطالب اللاجئ

كان "زيد" البالغ من العمر (١٢) عامًا يعيش في منزل "سعيد" مع والديه وأخواته في دمشق، ولم يسبق له السفر خارج مسقط رأسه، ولم يشعر أبدًا أنّه كان يفتقد أي شيء. إن آخر ما توقعته عائلته أن يُجبَروا على ترك وطنهم. كان زيد لا يزال يعاني من صدمة العبور إلى الأردن دون والده، ليجد نفسه محرومًا من أدنى حد من الأساسيات التي كان يعدّها أمرًا مفروغًا منه، لقد كان ذلك شيئًا لم يتقبّله زيد بعد.

> كان زيد متحمسًا للالتحاق بالمدرسة مرة أخرى بعد أن فقد عامًا دراسيًا.. لقد تذكر حديثه لأمه: "سيكون رائعًا! أنا متأكد أن هناك فتيانًا يريدون إنشاء فريق كرة قدم، وأنا مهاجم رائع!".

عمل زيد بجد ونشاط وسرعان ما صار ينافس "مؤيد" على المركز الأول في الصف. كان مؤيد متضايقًا من منافسة زيد له، وشعر زيد أنّ مؤيد لم يتقبل منافسته.

ومع ذلك، وعلى الرغم من درجاته الجيدة، لم تكن الأمور تسير على ما يرام بالنسبة لزيد؛ فقد شعر أن الأولاد الآخرين كانوا يتقصدونه. أرسل زيد ذات مرة إلى مرشد المدرسة فأوضح له أنّ زميله مؤيد يحول بينه وبين الانضمام إلى فريق كرة القدم، وأنّه هدّد الطلاب الآخرين بعدم دعوتهم لزيارة مزرعة عائلته إن لعبوا مع زيد.

في صباح أحد الأيام، عاد زيد إلى الصف بعد الاستراحة ليُصدَم برؤية كتبه ودفاتره ممزّقة وملقاة على الأرض، وعند الانحناء لرفعها سمع صوت ضحكات وهمهمات خلفه، فاستدار ليجد "مؤيد"وراءه، شعر زيد عندها بالغضب الشديد وهاجم "مؤيد" بكلّ قوّته. حضر المعلم المناوب على وقع صراخ زيد ومؤيد ليراهما يتعاركان ويتبادلان اللكمات. حاول فضهما وبالكاد استطاع سحب زيد عن مؤيد وأخذه مهرولًا إلى مكتب مدير المدرسة الذي قرر إيقافه في مكتب المرشد لحين قدوم ولي أمره. أثناء جلوسه في غرفة الإرشاد بكى زيد بحرقة وشرح للأستاذ طلال كل ما حدث له، وتوسل إليه أن يساعده للتخلص من هذا المأزق.

مؤيد

مؤيد طالب محبوب بين زملائه ومعلميه، ومهاراته الأكاديمية وشخصيته القيادية تدل على لعبه دورًا رئيسًا في بلورة شأن له في المدرسة؛ فقد أخذ دور قائد الفريق بكلّ جديّة، وأقنع والده بالتبرع بالأموال اللازمة لشراء زي جديد لفريق الكرة، وتزويد المدرسة بمعدّات رياضية ذات نوعية جيدة. ومع التقدم في العام الدراسي بدأ مؤيد يشعر بالقلق والتهديد من منافسة زيد له على المركز الأول أكاديميًا، وغدا خائفًا من سحب زيد البساط من تحت قدميه كقائد لفريق الصف.

في غرفة الإرشاد

كان مؤيد يشعر بالاستياء الشديد أثناء سيره إلى مكتب الإرشاد، رافضًا الاستماع إلى ما يتحدث به الأستاذ طلال، إذ كان يشعر بالإهانة الشديدة ؛لاتهامه بالمسؤولية عن التنمر الذي يتعرض له زيد، كيف لا وهو الطالب النجم. التفت إليه الأستاذ طلال قائلًا: "يجب أن تكون أنت وزيد صديقين وتحلان المشكلات العالقة بينكما". ثمّ عقّب سائلًا: "لماذا لا تعطي زيدًا دورًا في فريق كرة القدم؟".

قاطع مؤيد وأجاب غاضبًا: "فريق الكرة؟ أنا آسف؛ فنحن كفريق نعلب معًا منذ فترة طويلة لدرجة أنّنا أصبحنا على دراية تامة بكيفية تنفيذ الخطط والتكتيكات اللازمة للفوز بالمباريات، وستنطلق بطولة المديرية للمدارس قريبًا وليس لدينا الوقت الكافي لتدريب زيد على التكيّف مع خططنا وتحركاتنا؛ ببساطة إنّه لن يفيدنا في المرحلة الحالية".

صاح زيد غاضبًا: "ماذا عن كتبي، لماذا مُزّقت ؟".

أجابه مؤيد: "إنّها ليست مشكلتي ؛ لم تكن حريصًا على كتبك، فألقاها أحدهم أرضًا. كما أنّ عليك التوقف عن إلقاء اللوم عليّ في كل ما يحصل معك من مشكلات".

وضع طلال يديه أمام وجهه قائلًا: "هل يمكنك تخيل كيف يشعر الطرف الآخر؟ هل يمكنك توقع ما يفكر به زميلك؟" لقد تعلم طلال هذه الأساليب في قاعات جامعته، لكنّ ذلك لم يؤدِّ إلا لمزيد من تهجم الطالبين على بعضهما؛ ولذلك طلب منهما المغادرة متعللًا بأنّه سيتحدث إلى كل منهما على انفراد.

الحديث مع معلم الرياضة

مع الإحباط الشديد ومشاعر العجز التي انتابت طلال في ظل عدم وجود أيّ فكرة لديه عما يجب القيام به، سار متثاقلا إلى غرفة المعلمين ؛آملًا أن يجد الدعم من زملائه المعلمين.

كان معلم الرياضة "الأستاذ صالح" يرتشف كوبًا من القهوة ويكمل سجّل الحضور والغياب لهذا اليوم. دخل طلال عنده، واستأذنه للحديث معه فأردف قائلًا : "أنا هنا للحديث عن زيد ووضعه في المدرسة مع زملائه في الصف".

سأله الأستاذ صالح: "ماذا لاحظت؟"

تابع طلال: "هل تعتقد أنّه بإمكاننا إقناع مؤيد بقبول زيد ؟"

نظر الأستاذ صالح إليه باستغراب. قائلًا: "ما الخطأ الذي تراه بالضبط؟ من المتوقع أنّ طلاب الصف السابع يميلون للقوة الجسدية. فهم في هذا العمر

مستعدون لأن يصبحوا رجالًا، وهم يتصرفون على هذا النحو. سوف يحلون مشاكلهم في نهاية المطاف، وأنت تعرف ذلك فأنت المرشد التربوي هنا! "

ردّ طلال: "ربما أنت محق في ذلك، لكن هل يمكنك المساعدة بإشراك زيد بشكل فاعل خلال حصص الرياضة ".

قاطعه صالح: "ماذا تقصد ؟"

أجاب طلال قائلًا: "الطلاب لا يختارون زيدًا في فرقهم، وينتهي به الأمر مع صبيان آخرين يلعبون على الهامش. يمكنك تعيينه واحدًا من قادة الفرق للتأكد من إشراكه في الأمر ".

أجابه صالح: "حصتي هي الدرس الوحيد الذي يتعلم فيه الطلاب تحمل المسؤولية، واتخاذ القرارات الخاصة بهم. واختيار قادة الفرق من مسؤولية الطلبة ولن أجبرهم على أشياء لا يريدونها".

التحدث إلى الطلاب

كان طلال ما يزال قلقًا بشأن الموقف، ولذلك دعا طلاب الصف السابع للاجتماع. اقترح طلال ضم زيد إلى فريق المدرسة. صرخ مؤيد بقوة: "الآن يريد أن يأخذ ترتيبي الأول وسيتسبب بخسارتنا؟ لا. لا يمكن لأيّ شخص أن يأتي إلى مدرستي ويركلني خارجًا. إنّه جلب المشاكل معه!" قليل من الطلبة الجالسين بجانب مؤيد هزوا رؤوسهم .. وأضاف آخر: "لقد فقد والدي وظيفته؛ لأنّ لاجئًا وافق على تقاضي راتب أقل من راتبه. ما مدى عدالة ذلك؟ ماذا يفعل وقد أصبح بلا عمل؟" تحوّل الاجتماع إلى مسار بث الشكاوى والهموم، وازداد التوتر، حينها تكلم زيد: "هل تعتقدون أنّنا نريد أن نكون هنا؟ لم يكن خطأنا المجيء إلى هنا، وإن اجتهدنا وعملنا بجد كاف للحصول على وظائف، فهذا ليس خطأنا أيضًا! كل ما نريده هو العيش في أمن وسلام".

مكتبة المدرسة

عاد طلال إلى غرفته والأفكار تعصف بذهنه عندما وقعت عيناه على كتاب "(٣٥) أسلوبًا على كل مرشد معرفتها"، من الطريف أنّه لم يكن فيه أسلوب واحد ينفعه في محنته هذه، تذكر أنّ اليوم هو نهاية فترة استعارته فتناوله لإعادته إلى المكتبة آملًا أن يعثر هناك على حلّ ما.

في المكتبة ناول طلال أمين المكتبة الأستاذ جهاد الكتاب، فلاحظ جهاد أن علامات الحيرة ارتسمت على مُحيّاه، وبدا وكأنّ لديه شيئًا ما ليقوله، فبادره بالسؤال: "هل من مشكلة ما أستاذ طلال؟". فأخبره طلال بما جرى.

ردّ جهاد: "لا أعلم تمامًا، لكن قبل فترة اعتذر زيد عن عدم تمكنه من إعادة الكتب التي استعارها؛ لأنّ أحدًا ما مزقها، كنت أظنّ أنّه يواجه مشكلة ما؛ فهو طالب ملتزم، وقد هدّأت من روعه وأخبرته أنّني سأساعده على إصلاحها".

أجاب طلال: "يبدو أنّ زيدًا ضحية التنمّر، وأظن أنّ مجموعة من الطلاب تستهدفه، ومؤيد هو من يحرضهم".

قال جهاد: "كم هو صعب ما يمرّ به زيد فليس له ذنب في هذا، وأنا على استعداد للمساعدة في أي شيء يمكّننا من التخلص من مشاكل التنمر في مدرستنا ، وتوفير بيئة آمنة وداعمة للطلاب جميعهم". همّ طلال بالحديث عندما قاطعهما آذن المدرسة مخبرًا طلالًا أنّ المدير يطلبه على عجل للالتحاق به في غرفة الاجتماعات.

تحرك أولياء الأمور

في صباح يوم الخميس، قام والد مؤيد بتحديد موعد لرؤية مدير المدرسة. واستدعي الأستاذ طلال للانضمام في منتصف الاجتماع.

بدأ الأستاذ صالح الكلام: "أستاذ طلال، يقول والد مؤيد إنّه خلال لقائكم مع الطلاب، استخدمت كلمات آذت مشاعر مؤيد وأنّك لمته على العنف الذي حدث. نحن جميعًا نعلم أنّ " الطالب مؤيد " طالب رائع ومتفوق، وقد أكّدتْ لوالده أنّه قد أسيء فهم ما تعنيه".

نظر طلال إلى مدير المدرسة مندهشًا ولم يعرف ماذا يقول. أخذ نفسًا وبدأ التبرير: "سيدي، كنت أحاول حثّ الطلاب على رؤية أهمية التصرف باحترام وتقبل بعضهم بعضًا. لا يمكننا تجاهل أنّ لدينا مشكلة نحتاج إلى معالجتها في هذه المدرسة".

استمع المدير إلى طلال ثم قال: "أستاذ طلال، يرجى الحضور في وقت مبكر من يوم الأحد مع خطة حول كيفية معالجة هذا الموقف".

ترك طلال مكتب المدير، وهو يفكر في كيفية تأثيره لإحداث التغيير؟ ما الذي ينبغي عمله للتأكد من إنهاء التنمر، كان طلال مثقلًا للغاية وهو في طريقه إلى المنزل.

أسئلة تأملية

- ما الخطة التي يمكن للأستاذ طلال تقديمها يوم الأحد ؟
- كيف يمكن أن يساعد أمين المكتبة في تخفيف التوتر بين الطلبة؟

- كيف ستتصرف لو كنت مكان معلم الرياضة؟
- ما الدور الذي يمكن أن تلعبه المدرسة في نزع فتيل الصراع في المجتمع المحيط؟
- لو كنت مدير المدرسة، كيف ستعالج الصراع بين زيد ومؤيد؟

ملخص الحالات

أنا لا أهتم
إدارة السلوك

تكشف هذه الحالة مدى تقارب مسؤولية المعلم عن طلبته في حدود المدرسة وما يعترضه في المنزل. ففيها تلاحظ معلمة الرياضيات أن إحدى طالباتها أصبحت يائسة بشكل متزايد في الصف؛ ومع ذلك، فإنّ عمتها – ولية أمرها لا تتعاطف مع القضية، وتفسر أنّ وعي المعلمة بحالة الطالبة ورغبتها في المساعدة ما هو إلا تجاوز لدورها كمعلمة.
وفي نهاية المطاف، تستكشف هذه الديناميكية المدى الذي ينبغي أن يشارك فيه المعلمون في الحياة الشخصية لطلبتهم، فيما إذا كان تأثيرهم الشخصي فعلًا يؤثر وبوضوح على الأداء الأكاديمي للطالب، وأين تنتهي مسؤولية المدرسة؟

أنقذوني قبل أن تفقدوني
إدارة السلوك

تستكشف هذه الحالة تعقيد وجهات النظر المختلفة حول كيفية التعامل مع سوء سلوك الطلبة في الصف، خاصةً عندما يكون هذا السلوك السيّئ نتيجة لظروف شخصية غير مستقرة أو عنيفة. ومن الصعب أن نجد اختلافًا في اعتبار العطف على الطلبة أمرًا مثاليًا، ولكن قد نختلف في الموازنة بين الانضباط والعطف وتوفير الأمن والسلامة في مدرسة مزدحمة ومضطربة.

تغيير مكلف
التعلم والتعليم

تُجلّي هذه الحالة طبيعة الاحتكاك الذي ينشأ عندما يحاول مدرس جديد تقديم طرق تدريس حديثة محورها الطالب في مدرسة يمارس المعلمون الآخرون فيها أساليب تدريس تقليدية أثبتت فاعليتها في الاختبارات. فضلًا عن أنّها تبرز أيضًا الملابسات التي تكتنف اختبار طرائق التدريس الجديدة التي تبدو غير مألوفة للطلبة وأولياء أمورهم، وكيف تخلق جوًا من المعارضة وتؤدي إلى رد فعل عنيف وقاس منهم.

حرب الكلام
العلاقات بين المدرسة والمجتمع

تسلط دراسة الحالة الضوء على الصراع الذي ينتج بسبب تزايد تشكيك المجتمع المحلي بأثر المدارس المختلطة في جودة التعليم، وتحلّل أدوار المدرسة في الرد على تساؤلات المجتمع المحلي وتشكيل آرائهم حولها، بالإضافة إلى مناقشة الآلية التي يجب أن يتبعها مدير المدرسة للتعامل مع التوجهات السلبية للمجتمع المحلي والمفاهيم الخاطئة لديهم

صراع رغبات
التعلم والتعليم

تدور هذه الحالة حول اختلاف رغبات الطالبات والمعلمات وأولياء الأمور في طرق التدريس؛ فبعض الطالبات يُردْن الأسلوب المباشر في التعليم، ولا يثقن بالتدريس النشط، ويرين أنّ الطرق التفاعلية خالية من الجدية، بينما الأخريات يفضلن التعليم النشط؛ لأنّه يكسر نمطية الحصص الصفية وجمودها، مما يسهل عليهن التذكر والتعلم. المعلمة خبيرة في التدريس وتريد تطبيق طرق حديثة، على عكس رغبات الطالبات وأولياء أمورهن والقلق الذي يساورهم جميعًا.

عائلتي أم مبادئي
العلاقات بين المدرسة والمجتمع

تركز هذه الحالة على الصدام في القيم الثقافية بين معلمة جديدة والمجتمع الذي توجد فيه. فضلًا عن أنّها تطرح مسألة الثقافة السائدة في المجتمع والمدى الذي يجب على المعلم أن يصل إليه في احترامها أو مقاومتها، خاصةً عندما تتفاقم الآثار المرتبطة بها وتُدخل الحياة الشخصية للأفراد في اعتبارات السياق والحالة.

غياب مبرر
العلاقات بين المدرسة والمجتمع

في هذه الحالة، تكشف مديرة جديدة عن الاحتكاك بين أولياء أمور الطالبات في مدرستها والمعلمات اللواتي لا يرحبن بعقد اجتماعات معهم. تستكشف الحالة مدى إشراك المدرسة مجتمعها المحلي في عمليات التشغيل وصنع القرار. ففي حين أن الآباء والأمهات يمكن أن يكونوا داعمين لعملية التعليم والتعلم ومؤثرين فيها، تشعر بعض المعلمات أن حضورهم يستلزم بالضرورة المزيد من تعطيل عملية التعليم وتعقيدها. علاوة على ذلك، توضح الحالة كيف يجب على المديرة الجديدة تحقيق توازن بين قيادتها للمعلمات ورؤيتها مع حقيقة عدم عزل أنفسهن عن المجتمع.

لا تتركوني خلفكم
ذوو الاحتياجات الخاصة

تتساءل هذه الحالة عن المسؤول عن ضمان حصول الطلبة ذوي القدرات العقلية المختلفة على التعليم المناسب. كما تبحث في حقوق الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة في التسجيل في المدارس الحكومية غير المتخصصة، وكيف يمكن أن تكون ردة فعل أولياء أمور الطلبة الآخرين تجاه تلك الحقوق التي يحتمل أن تؤثر في نوعية التعليم التي يتلقّاها أبناؤهم. وفي الوقت نفسه، هل يجب النظر إلى هذه القضية باعتبارها واحدة من حقوق التعليم، أم أنها مجرد واحدة من أفضل الطرق لدمج الطالب بشكل صحيح في المدرسة؟

لحظة الحقيقة
التعلم والتعليم

تناقش هذه الحالة التوتر الذي يمكن أن يحدث بين معلمة جديدة طموحة ولديها دافعية عالية مع معلمات المدرسة التي تعينت فيها، وكيف يمكن لها أن تنتظم مع التعليم الواقعي الموجود في المدرسة وتتكيف معه مع المحافظة على توظيف ما تعلمته في البرنامج التدريبي المكثف لإعداد المعلمين الذي اجتازته قبل تعيينها وتطبيقه على أرض الواقع.

لن تستطيع إجباري!
إدارة السلوك

تتناول هذه الحالة مشكلة الاضطرار إلى التفاوض بين التوترات المحلية التي تتسرب إلى ساحة المدرسة وتتجلى في الصراع بين الطلبة في الصف وتصميم المرشد التربوي في المدرسة على إعداد خطة لدمج الطلبة اللاجئين في السياق المدرسي وتنفيذها. تؤشر هذه الحالة على الدور الذي يمكن أن يمارسه المرشد التربوي في حل التوترات الناشئة بين الطلبة.

ليس عدلًا!
ذوو الاحتياجات الخاصة

تركز هذه الحالة على معلمة اللغة العربية التي تعاني من ضعف البصر، وبعد عشر سنوات من التدريس الناجح، تُعلم بأن معلمات مبتدئات لا يعانين من إعاقة بصرية سيحللن مكانها. تنطوي الحالة على قضية مؤهلات المعلمين وكيف ينبغي على الموظفين والإداريين التعامل مع هذا الأمر بطريقة غير متحيزة؛ لضمان تزويد المدارس بخبرات تربوية قادرة على توفير تعليم عالي الجودة.

ما مشكلتك؟
ذوو الاحتياجات الخاصة

تناقش الحالة الصعوبات التي يواجهها المعلم في دمج الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة في الغرفة الصفية، وكيف يمكن أن تؤثر ثقافة الصف في هذا الانتقال؛ فهل المعلمون مدرّبون بشكل كاف ومستعدون للتعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة في صفوفهم الدراسية؟ وما الذي يمكنهم فعله لضمان حصول الطلبة كافة على التعليم الذي يستحقونه؟

من أين أبدأ؟
التعلم والتعليم

تستعرض هذه الحالة كيف يمكن ربط المشكلات في المدارس مثل: الفجوة بين ما يُدرّس

وما يتعلمه الطلبة. في حين أن الجهد والمثابرة الهائلين هما مفتاح نجاح أي مدرسة، إلا أن هذه الحالة تُظهر أن ذلك ليس كافيًا لتقديم حلول فعالة. قد يكون من الصعب في بعض الأحيان تحديد المشكلة الأساسية وكيفية التعامل معها.

ناجح علوم... راسب عربي!
التعلم والتعليم

توضح هذه الحالة التحديات المرتبطة بانعكاس ضعف الطلبة في المهارات اللغويّة على تحصيلهم في المواد الدراسية الأخرى. إذ تدور مجريات الحالة حول كيفية استخدام المعلم أساليب تقييم مختلفة، وكيفية موازنة وجهات النظر المتباينة فيما يتعلق بأدوات التقييم التي تتجنب الحواجز اللغويّة.

نحن لسنا بحاجتك
التعلم والتعليم

توضح هذه الحالة تأثير اختبار الثانوية العامة على سمعة المدرسة وثقافتها؛ فعندما يتلقى الطلبة دروسًا خصوصية، يمكن أن تتغير وجهات نظرهم وتقييمهم لجودة التعليم المقدّم في مدرستهم. في الوقت ذاته، تكشف الحالة عن وجوب تعامل المعلمين أيضًا مع الاختلافات الكبيرة في تقييم الطلبة في المدرسة، وتسلط الحالة الضوء أيضًا على الآثار السلوكية السلبية التي قد تترتب على هذه الاختلافات.

هل أستمر في دراستي؟
ذوو الاحتياجات الخاصة

تركز هذه الحالة على كيفية تكييف التعليم والتقييم مع الاحتياجات الفردية؛ ففي أحداث هذه الحالة تكتشف المديرة الجديدة للمدرسة أنّ بعض المعلمات يصممن لطالبة – وعلى مدى سنوات– تقييمًا مختلفًا عن بقية زميلاتها في الصف تقديرًا لكونها تعاني من إعاقة في حواسها. كيف يجب على المدرسة أن تتصرف حيال معالجة المعاملة الخاصة للطالبة. وما الإجراء المناسب للتعامل مع هذه الطالبة وزميلاتها؟ هل يجب تحقيق العدل بمحاولة تعويض اختلافات الطلبة أم بعدم الاعتراف بها؟

هل الدعم الفني يساعد الجميع؟
التعلم والتعليم

تركز هذه الحالة على التحدي الذي يواجهه المدرّبّ التعليمي عندما يكون المعلمون غير مقتنعين بجدارة التدريب أو جدواه. على الرغم من أن التدريب التعليمي قد يبدو مفيدًا نظريًا، إلا أنّ تنفيذه في العادة ليس سلسًا، خاصةً عندما لا يشعر المعلمون بأنّ طلابهم مستعدون لمختلف التقنيات التربوية التي قد يوصى بها. وبالتالي، فإن القضية تثير التساؤل حول العلاقة بين اتجاهات المعلمين وقناعاتهم بإمكانية التغيير، وتوقعاتهم من طلبتهم.

تحدّيات مدرسيّة

دراسات للتّربويين

حرّرتهُ كاثرين ك. ميرسيث

Professional Education

HARVARD GRADUATE SCHOOL OF EDUCATION

QUEEN RANIA TEACHER ACADEMY
أكاديمية الملكة رانيا لتدريب المعلمين